مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية



نصوص آبائية
-١٨٢-

عظات على سِفر التّكْوين

للقِديس يوحنا ذهبي الفم

مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسي
للدراسات الآبائية
بالقاهرة
نصوص آبائية
-١٨٢-

عظات على سفر التكوين

للقديس يوحنا ذهبي الفم

ترجمها عن اليونانية مع مقدمة وتعليقات
د. جورج فرج

راجعها عن اليونانية
د. جورج عوض إبراهيم

ترجم عن النص اليوناني المحقق في مجموعة *"المصادر المسيحية"* الصادرة بباريس
SC N°433

اسم الكتاب : **عظات على سفر التكوين**

اسم المؤلف : **القديس يوحنا ذهبي الفم**

اسم المترجم : **د. جورج فرج**

اسم المراجع : **د. جورج عوض إبراهيم**

الطبعة الأولى : **ابريل ٢٠١٤**

اسم الناشر : **مؤسسة القديس أنطونيوس . المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة : ٨ (ب) ش إسماعيل الفلكي محطة المحكمة مصر الجديدة ت: ٢٢٤١٤٠٢٣**

E-mail : opcc2007@yahoo.com
Website: www.patristiccairo.com

اسم المطبعة : دار يوسف كمال للطباعة

٢ش المدارس حدائق القبة ٢٤٨٢٧٠٧٤ . ٢٤٨٦٥٣٧٨.

تصميم الغلاف : د. جورج فرج

رقم الإيداع : ٥٢٠٣ لسنة ٢٠١٤ م

الترقيم الدولى : I . S .B . N . 978 - 977 - 487 - 023 - 1



صاحب الغبطة والقداسة

البابا المعظم الأنبا تواضروس الثانى

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسيـة

« ١١٨ »



المحتويات

***

المراجع والاختصارات

أولا:- النص اليوناني

١- النص اليوناني المحقق - وسوف نرمز له بـ *SC*

- Jean Chrysostome, *Sermons sur la Genèse*, *Sources Chrétiennes,* N° 433, Introduction, texte critique, traduction et notes par Laurence BROTTIER, Paris, 1998.

٢- النص اليوناني التقليدي - وسوف نرمز له بـ *PG*

- J.-P. Migne, Patrologiae cursus completus (series Graeca) 54, Paris: Migne, 1857-1866.

ثانيا:- ترجمات النص

١- الترجمات الفرنسية القديمة - بخلاف الترجمة الفرنسية الحديثة الموجودة في *SC*

- *Œuvres complètes de Saint Chrysostome.* Traduction pour la première fois sur la direction de **M. Jeannin**, Arras, 1887. Volume V. "Discours sur la Genèse" p.441-476.

- *Œuvres complètes de S. Jean Chrysostome*, Traduction Nouvelle par **M. Abbé J. Bareille**, Tome IV, Paris, 1867. "9 Discours sur la Genèse" p. 467-507.

٢- الترجمة اليونانية الحديثة ونرمز لها بـ ΕΠΕ

- Ιωάννου Χρυσοστόμου, *τα πάντα έργα,* τόμος 8, ΕΛΛΗΝΙΚΕΣ ΠΑΤΕΡΕΣ ΤΗΣ ΕΚΚΛΗΣΙΑΣ (65), Θεσσαλονίκη, 1983, σ. 1-187.

٣- الترجمة الإنجليزية

- St. John Chrysostom, *Eight Sermons on the Book of Genesis*, Translated by Robert C. Hill, Holy Cross Orthodox Press, 2004.

ثالثاً:- دراسة عن النص

- WALTER A. Markowicz, "Chrysostom's Sermons on Genesis. A Problem," Theological Studies 24 (1963): 652-664.

هذا بخلاف ما ذكرناه في الهوامش من مراجع ونصوص آبائية أخرى.

مقدمة الناشر

يقدم المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية أحد الأعمال التفسيرية للقديس يوحنا ذهبي الفم للعهد القديم، وهذا النص لم يسبق ترجمته من قبل للغة العربية سواء ترجمة حديثة أو قديمة، ويشمل ثمان عظات على الإصحاحات الأولى لسفر التكوين عن خلق الإنسان والسقوط. وهذه العظات تختلف عن التفسير الكبير لسفر التكوين الذي قدمه القديس يوحنا في حوالي ٦٧ عظة والتي يأمل المركز ترجمتها في المستقبل.

وهذه الترجمة تسبقها مقدمة تمهيدية مهمة لشرح محتوى العظات، نتعرض فيها لأسلوب القديس يوحنا في إلقاء هذه العظات، وكذلك في طريقته في التفسير وإتباعه منهج التفسير التاريخي التي يُميّز مدرسة أنطاكية، علي عكس المنهج الرمزي لمدرسة الإسكندرية. حيث يُقدم الجانب الأخلاقي على التأملي في التفسير. وتشمل المقدمة أيضا على شرحًا مفصلاً للأفكار اللاهوتية المهمة التي تعرض لها القديس يوحنا في شرحه لهذه العظات، كما تشتمل الترجمة أيضا على تعليقات هامشية لتوضيح بعض الأفكار والمفردات المهمة.

قام د. جورج فرج بترجمة هذا العمل من النص اليوناني المحقق الصادرة عن مجموعة المصادر المسيحية التي تصدر في باريس *SC* N°433. وقام د. جورج عوض إبراهيم بمراجعة النص بالكامل علي

النص اليوناني الأصلي.

ونتوسل إلى الله أن يبارك هذا العمل بشفاعة القديسة العذراء مريم والدة الإله، ومصاف الملائكة والقديسين، وصلوات صاحب القداسة البابا تواضروس الثاني والآباء المطارنة والأساقفة وكل الكهنة والخدام، ولإلهنا المحب الآب والابن والروح القدس، المجد الدائم إلى الأبد آمين.

* * *

مقدمة المترجم

يعتبر تفسير القديس يوحنا ذهبي الفم لسفر التكوين من أهم أعماله التفسيرية للعهد القديم، ومن ثم فلها أهميتها الخاصة في تاريخ علم التفسير ويأتي بعدها عظاته علي المزامير.

مجموعتان من العظات للقديس يوحنا ذهبي الفم على سفر التكوين

قدم القديس يوحنا ذهبي الفم مجموعتين من العظات على سفر التكوين، الأولى وهي الأقدم وتشتمل على ٨ عظات فقط وهي التي يتضمنها هذا الكتاب، وقد ألقاها القديس يوحنا خلال فترة الصوم الأربعيني المقدس، وقبل سيامته بطريركًا للقسطنطينية، عندما كان كاهنًا في أنطاكية حوالي عام ٣٨٦م.

بينما المجموعة الأخرى عبارة عن سلسلة طويلة من العظات تتكون من ٦٧ عظة تشمل تفسير لمعظم سفر التكوين[1] ألقاها حوالي عام ٣٨٨م وقد بدأها أيضا في الصوم الأربعيني المقدس، ولكنها استمرت كما هو واضح من العظة ٣٣، حتى ما بعد عيد العنصرة.

الفرق بين المجموعتين

١- من حيث التسمية جرت العادة علي تسمية المجموعة الأولى القصيرة بـ λόγος discourse, sermon أي "كلمة – قول" بينما

---

[1] *PG* 53:21-385 - 54:385-580

الأخرى بـ ὁμιλία homily أي "عظة" – وإن كان القديس ذهبي الفم لا يفرق في حديثه بين الاصطلاحين، حيث يستخدم دائما مصطلح λόγος أي "كلمة"، غير أنه قد جرت العادة منذ أيام القديس أغسطينوس على تسمية أي عظة ذات موضوع غير مقيد بنص كتابي محدد بالتعبير λόγος أي "كلمة" أما إذا كان الأمر مرتبط بتفسير مقطع كتابي محدد تسمى ὁμιλία أي "عظة"[٢].

٢- ومن حيث البناء والمحتوى، فإن كلا المجموعتين تبدأ العظات فيهما بتحية، عبارة عن كلمة روحية لسامعيه ثم ينتقل لتفسير النص الكتابي ويختم دائما بكلمة روحية في موضوع آخر مثل الحديث عمل الرحمة، أو اللص اليمين، أو اكرام الوالدين الخ . ويري البعض أن المجموعة الأولى قد ألقاها القديس ذهبي الفم بالفعل، بينما الأخرى عبارة عن نصوص فقط أعدها دون أن يُلقيها ولكن هذه الفكرة مرفوضة وهذا واضح من بناء النص ذاته، كما أنه يوجد تشابه كبير بين المجموعتين في المحتوى مثل العظة الثانية في المجموعة الأولي والعظة الثامنة في المجموعة الثانية، غير أن الفرق يتمثل في أن المجموعة الأولى لا تقدم تفسيرًا نظاميًا بل تعليقات على موضوعات محددة عن الخلق، بينما الثانية هي تفسير أكثر شمولًا للسفر.

---

2 Ιωάννου Μ. Φουντούλη, *Ομιλητική*, Ιδιωτική Έκδοση, Θεσσαλονίκη, 2002, σελ. 15.

العظة التاسعة

في باترولوجيا ميني *PG* نجد أن هذه المجموعة القصيرة المكونة من ثمانية عظات يتبعها عظة تاسعة[٣]، تتحدث عن "أَبْرَام" وتغيير اسمه إلى " إِبْرَاهِيم"، وهذه العظة قد ألقاها القديس في فترة زمنية متأخرة عن باقي هذه المجموعة، ولا علاقة لها بها، حيث أنها تتشابه مع مجموعة أخرى من العظات للقديس عن تغيير أسماء القديسين، ولم تدرج هذه العظة في المجموعة إلا متأخرًا. ومن المؤكد أن العظات الثمانية ليست هي فقط كل العظات التي قدمها ذهبي الفم من هذه المجموعة، إذ يرى العلماء أن هناك بعض العظات المفقودة من نفس السلسلة، غير أن العظة التاسعة المدرجة في باترولوجيا ميني *PG* ليست منها، إذ أن هذه العظة تتشابه في محتواها مع العظة رقم ٣٩ من عظات المجموعة الكبيرة على سفر التكوين.

متي ألقى القديس يوحنا ذهبي الفم هذه العظات

علي الرغم من أن محتوى العظات لا يذكر لنا أي شيء يشير لتاريخ إلقاء تلك العظات أو مكانها، إلا أنه يمكننا أن نستنتج أنها قبل سيامة القديس يوحنا ذهبي الفم بطريركًا على القسطنطينية، وذلك لأن حديث القديس في العظة الثانية عن خجله من الوعظ دلالة على حداثة عهده بالكهنوت وكذلك اعتماده علي صلوات "الرؤساء"

---

[3] *PG* 49, 619-620

والمقصود بالطبع هم الأساقفة، ومن المعروف أنه رسم كاهنًا في عام ٣٨٦م، ومن ثم تكون العظات قد ألقيت قرابة هذا التاريخ. أما بالنسبة للمجموعة الأخرى الكبيرة فيجمع العلماء أنه قد ألقاها في وقت لاحق على هذه العظات المختصرة ما بين عام ٣٨٨و ٣٨٩م، كما أنه انشغل في الصوم الكبير لعام ٣٧٧م في إلقاء عظاته "عن الأوثان"[٤] وبالتالي يكون العام الأقرب لإلقاء هذه العظات المختصرة هو عام ٣٨٦م وعلى كل حال فقد ألقى ذهبي الفم هذه العظات القصيرة علي سفر التكوين عندما كان كاهنًا لأنه يشير إلى أسقفه الذي يدعوه معلمه وأبيه وهو الأسقف فلافيان[٥].

القديس يوحنا ذهبي الفم والأسقف فلافيان

الأسقف فلافيان هو واحد من الأسماء الشهيرة التي يلقبها القديس يوحنا ذهبي الفم بالأب والمعلم ويشير إليه في عديد من أعماله[٦]، وقد كان واعظًا مقتدرًا، وكان القديس يوحنا يتابع عظاته كما يتضح من العظة الثامنة من هذه المجموعة وغيرها من أعمال القديس[٧]، وعندما

---

[4] *De statuis, Ad populum Antiochenum homiliae* XVI,2 *PG* 49, 164.

[٥] العظة الاولي والعظة السابعة

[6] *Homélies sur Ozias*, ed. J. Dumortier, *SC* 103: II, 3, 67, p. 100 ; III, 1, 11, p. 104 ; III, 5,57, p. 134 ; *De beato Philogonio* 3, *PG* 48,752 ; *In Kalendas*. I,1, *PG* 48, 953 ; *In diem Natalem* 6, *PG* 49, 358 ; *De sancta Pentecoste hom*. I, 4, *PG* 50, 458 ; *De Maccbeis, hom*. II, 2, PG 50, 626 ; *In principium Actorum hom*. II, 6, *PG* 51, 86.

[7] *Aduersus Iudaeos orationes*. VI, 1, *PG* 48, 904 ; *De Diabolo tentatore hom*. II, 1, *PG* 49, 257

صار ذهبي الفم كاهنًا كان هذا الأسقف شيخًا مسنًا، وأصبح القديس يوحنا خليفته في الوعظ، وكان هذا الأب الاسقف متابعًا لعظاته، وأحيانا كان يطلب القديس يوحنا بركته قبل الوعظ، وأحيانا أخرى كان يكمل الأسقف فلافيان الوعظ[8]. وقد كان القديس يوحنا يمدح هذا الأب الأسقف وخاصةً لأنه قام بتوزيع أمواله على الفقراء.

تفسير سفر التكوين للقديس يوحنا ذهبي الفم في كتابات القديس أوغسطينوس

جدير بالذكر أن القديس أوغسطينوس يستشهد بتعاليم القديس يوحنا ذهبي الفم فيما يخص موضوع سلطان آدم على الوحوش وتسميته للحيوانات بأسمائها، وكذا حديث حواء مع الحية كدليل على سيادة الإنسان على الخليقة قبل السقوط، وأثر الخطية علي فقدان تلك السيادة، ويعرض القديس أوغسطينوس رأي ذهبي الفم في أحد كتاباته ضد أسقف يدعي يوليانوس كان يعتقد بهرطقة بيلاجيوس[9]، ويقتبس

[8] *Homélies sur Ozias*, (*SC* 103) II, 3, 67, p. 100 ; III,1,11, p. 104 ; III, 5,57, p. 134 ; *De beato Philogonio*, *PG* 48,752 ; *De paententia hom.* V, 5, *PG* 49, 314 ; *In diem Natalem* 6, *PG* 49, 358 ; *De Maccbeis, hom*. II, 2, *PG* 50, 626.

[9] بيلاجيوس هو راهب من الكنيسة الغربية وقد علم بأن خطية آدم ليس لها أي أثر على البشرية نهائيًا، بل هي تخص آدم بمفرده، وأن كل إنسان يولد يكون على نفس حال آدم قبل السقوط، وعلم بأن الإنسان يمكنه أن يخلص بجهاده فقط بدون النعمة. أدين بيلاجيوس في مجمع قرطاجه سنة ٤١٨م. وقد تصدى لأفكاره القديس أوغسطينوس مؤكدًا على آثر الخطية الجدية على الجنس البشرى، وضرورة النعمة لأجل خلاص الإنسان.

القديس أوغسطينوس بعض الفقرات من تعاليم خطيب أنطاكية العظيم، ذاكرًا اسم القديس يوحنا ذهبي الفم أكثر من مرة[10]، وهذه الاقتباسات عن موضوع سيادة آدم على الوحوش قبل السقوط نجدها في العظة الثالثة من المجموعة المختصرة وكذلك العظة التاسعة من المجموعة الكبيرة، مما يؤكد على أن القديس أوغسطينوس قد اطلاع على ترجمة لاتينية قديمة لعظات القديس ذهبي الفم على سفر التكوين.

الصوم الكبير وعظات القديس يوحنا ذهبي الفم.

يظهر جليًا من العظات الثمانية أن القديس ذهبي الفم كان يعظ يوميًا في الأربعين المقدسة، إذ يذكر في كثير من المرات أنه كان يحدثهم بالأمس عن كذا وكذا، كما يؤكد في العظة الخامسة *"وقت الصوم، وقت تصير فيه عظات كثيرة وكذلك تعاليم عن الخلاص، وصلوات مستمرة، **واجتماعات يومية**"*[11] وقد كانت عادة الآباء هي الوعظ يوميًا في الصوم الكبير كما يشير القديس أمبروسيوس[12] بل حتى مرتين في اليوم كما يؤكد القديس باسيليوس[13]، أما في باقي أيام

[10] Augustine, *Contra Iulianum Pelagianum* 1, 25 (*PL* 44, 567), see the English Translation, St. Augustine, *Against Julian, The Fathers of the Church N°35* . Translated by Matthew A. Schumacher. 1957. p. 25-31.

[11] أنظر العظة الخامسة

[12] Ambroise de Milan : *Des sacrements. Des mystères,* Explication du Symbole. B. Botte : 1,1, (*SC* 25bis),Paris, 1980. p. 156.

[13] Basile de Césarée, *Homélies sur l'Hexaéméron éd. S. Giet, (SC 26bis),* Paris, 1968. III, 1, p. 188

السنة يكون الوعظ في الآحاد والأعياد وغالبًا السبوت أيضا[١٤]، وأحيانا يوم الأربعاء كما يشير القديس باسيليوس[١٥] أو الجمعة كما يذكر ذهبي الفم[١٦]

الصوم الكبير وشرح سفر التكوين

كثيرا ما يرتبط شرح سفر التكوين بالصوم الكبير، حيث ينتهي الصوم الأربعيني بالقيامة وهو موسم تعميد الموعوظين، ولذا فإن العظة تستهدف بالأكثر الموعوظين الذين ينتظرون نوال الميلاد الثاني والخليقة الجديدة، بالتالي فالحديث عن الخليقة الأولى بشرح سفر التكوين هو مقدمة ضرورية لتعليم أولئك الموعوظين. ولذلك نجد أن كثير من آباء الكنيسة قد شرحوا هذا السفر في الصوم الأربعيني وخاصةً الاصحاحات الأولى منه التي تتحدث عن الخلق وبداية تاريخ الخلاص، فنجد القديس باسيليوس الكبير يشرح ستة أيام الخلق في الأربعين المقدسة[١٧]، وكذلك القديس أمبروسيوس[١٨] وغيرهم.

---

[14] *Les Constitutions Apostoliques,* t. III, éd. M. Metzger, (*SC* 336), Paris, 1987. VIII, 33, 2, p. 240.

[15] Basile de Césarée, *Ep*. XCIII, Collection des Universités de France, Paris. I, p. 203.

[16] Joannes Chrysostomus, *In Epistulam I ad Timotheum argumentum et hom*. V, 3, *PG* 62, 530

[17] Basile de Césarée, *Sur l'Hexaéméron*, (*SC* 26bis).

[18] Ambroise, *Exaemeron, Scti Ambrosii opéra* 1, Corpus Scriptorum Ecclesiasticorum Latinorum, Vienne, 32, 1.

محتوى العظات

هذه العظات لا تمثل تفسير نظاميًا لآيات السفر بل هي مجموعة عظات يقوم فيها القديس يوحنا ذهبي الفم بتفسير بعض الموضوعات والآيات الواردة في الاصحاحات الثلاث الأولى لسفر التكوين التي تحكي قصة خلق الكون والإنسان والسقوط مستعرضًا موضوع خلقة الإنسان على صورة الله ومثاله، وكذلك أثر السقوط على كرامة الإنسان. وأهم ما يميز هذه العظات اهتمامه بالطبيعة الإنسانية، وكرامة الانسان قبل السقوط، إذ يؤكد أن الله لا يخلق عبيدًا، وكذلك إصراره على مساواة المرأة بالرجل عند خلقها، وأن سيادة الرجل عليها جاءت بسبب السقوط والخطية وأن الأمر غير متعلق بطبيعتها، كذلك يؤكد ذهبي الفم على أن آدم كان عارفًا للخير والشر قبل أن يأكل من الثمرة المحرمة. ويؤكد على أننا نشارك آدم في عقوبة العبودية عندما نشاركه في معصيته.

القديس يوحنا ذهبي الفم كواعظ

لا يقدم لنا القديس ذهبي الفم تعاليمه كمؤلفات مكتوبة، يخطها وهو في صومعته أو مكتبه ككثير من كُتَّاب الكنيسة، بل يعتمد القديس يوحنا ذهبي الفم علي تقديم تعليمه شفويًا مَنْ خلال عظاته حيث يوجد من يدون كلمات خطيب الكنيسة الأشهر، ولعلنا نلمح في إحدى عظاته هذه عن سفر التكوين أن حادثًا عارضًا قد وقع، ألا وهو أن عامل الكنيسة يدخل أثناء عظة القديس يوحنا ذهبي الفم لإنارة

المصابيح الزيتية مما يشد انتباه الحضور ويشتت تركيزهم عن القديس، الأمر الذي يدفعه لتوبيخهم لعدم انتباههم إليه، فحادثة كهذه توضح مدي عفوية القديس ذهبي الفم، وكيف أن عظاته ما هي وإلا تسجيلاً واقعيًا لخطبته دون أي تعديل أو تنقيح على النص من جانبه، وذلك بالطبع على عكس كثير من الآباء الآخرين مثل القديس أثناسيوس والقديس كيرلس حيث نجد كتاباتهما عبارة عن أبحاث مرتبة لفصول وموضوعات تم صياغتها بعناية.

وهنا نجد أن بناء العظة عند ذهبي الفم يشبه رسائل القديس بولس التي تبدأ عادة بمقدمة عبارة عن تحية وشكر ثم لُب الموضوع وفي النهاية خاتمة تتكون من نصائح أخلاقية. وبالمثل نجد ذهبي الفم يقدم التمهيد الذي ربما يحتوي على ثناء بسبب انتباه المستمعين وتجاوبهم مع تعليم القديس، ثم يقدم موضوعه الذي يطرحه علي هيئة تساؤلات قد تدور في ذهن مستمعيه، فلا يتجنب واعظ الكنيسة الأشهر من طرح كل استفهامات الناس وتذمرهم فيما يخص ميراث البشرية لآثار الخطية الأولى، فتجده يتساءل على لسان أي امرأة لماذا أُعاقب بذنب حواء؟ وكذلك تذمر كل عبد: لماذا ارث مغبة فعل حام ضد أبيه نوح؟ وينجح القديس يوحنا لحد بعيد في إقناع مستمعيه المنصتين اليه عن مسئولية كل إنسان الشخصية فيما يعانيه. وغالبًا ما يوجه القديس حديثه لمستمعيه بصيغة المخاطب المفرد، فنجده لا يمل عن مخاطبة جمهوره وكأنه رجلاً يحدثه، فيعتاد القول مثل (أرأيت كيف أن ... ولكن انتبه

إلى ... ، فكيف يا ترى ...، وقد تقول لي كيف ...)، ولا يتوقف ذهبي الفم عند طرح التساؤلات التي تدور في ذهنه مستمعيه بل يتجاوزها إلى طرح موضوعات وتساؤلات قد لا تدور في ذهن الحضور ويجعلها مسار حديثه في عظات قادمة.

ونجد أن ذهبي الفم يواجه مستمعيه بتوبيخاته لهم دون خجل بسبب تجاهلهم للفقراء، فيرسم لنا ذهبي الفم حالة البؤس الشديد التي كان يعانيها الفقراء في أيامه، فيترجى وبإلحاح مستمعيه بعدم التواني في تقديم أعمال الرحمة لسد جوع المساكين.

القديس يوحنا ذهبي الفم كمفسر للكتاب المقدس لهذا النص.

يلتزم ذهبي الفم في تفسيره لهذا النص بمدرسة أنطاكية التفسيرية التي تميل دائمًا للتفسير التاريخي والتي تبتعد عن منهج مدرسة الإسكندرية، إذ لا يقدم لنا أي تفاسير رمزية في النص، بل أنه في المرة الوحيدة التي يقابل فيها بين شجرة معرفة الخير والشر، وخشبة الصليب، ينطلق من مفردات اللغة حيث أن الكلمتين (شجرة –خشبة) باليونانية هما لفظة واحدة هي "ξύλον" فيلتزم ذهبي الفم بالتفسير التاريخي والواقعي للنص ويعطي كل اهتمامه للجانب الأخلاقي.

غير أن بلاغة القديس يوحنا تلزمه بلا شك في استحضار الصور البلاغية والرمزية لتقريب المعني، وبالمثل فهو يجد في بعض النصوص الكتابية ما يقابله من صور رمزية فمثلاً عند حديثه عن

خضوع الحيوانات لآدم يستخدم المقابلة الرمزية بين نوعية الحيوانات وأفكار الإنسان المرذولة فيقول : " *لأنه كما في الأرض هذا الاتساع والرحابة حيث توجد الحيوانات العجماء وأيضا المتوحشة، هكذا في ساحة نفوسنا بعض أفكارنا خالية من الفهم، ومتوحشة وأخرى بهيمية وأخرى أكثر شراسة ومن ثم يجب السيطرة والانتصار عليها وتسليم سلطتها إلى منطق العقل.*"[١٩] لكننا نجده يستخدم هذه الرمزية بغاية التعليم الأخلاقي بعيدًا عن التعليم العقيدي.

يعتمد القديس ذهبي الفم بشكل أساسي علي الترجمة السبعينية للعهد القديم، ونجده يقدم بعض من الاقتباسات من الأسفار القانونية الثانية مثل سفر يشوع بن سيراخ الذي يقتبس منه ٣ اقتباسات مسبوقة بقوله : "يقول أحد الحكماء"، واقتباس واحد من سفر الحكمة دون اشارة لاسم السفر، و ٤ اقتباسات من سفر باروخ.

ونلاحظ أن القديس ذهبي الفم كان مُلمًا بتفاسير وترجمات الأسبقين عليه حيث نجده في العظة السادسة يفاضل بين الترجمات اليونانية للنص الكتابي ولا يكتفي فقط بنص الترجمة السبعينية الأكثر شهرة، ومن ثم لم يستسلم لعدم معرفته باللغة العبرية لنص العهد القديم، حيث نجد أن الباحثين يروا أن تفاسير القديس يوحنا للعهد القديم لا يمكن مساواتها بنظيرتها للعهد الجديد بسبب معرفته باللغة اليونانية التي كُتِب

---

[١٩] عظة ٣

بها النص الأصلي للعهد الجديد.

يهتم القديس ذهبي الفم بالربط بين العهدين القديم والجديد مؤكدًا على وحدة الكتاب المقدس موضحًا أن ما صمت عنه الوحي في العهد القديم أعلنه في العهد الجديد، مؤكدًا على أن الأمة اليهودية في العهد القديم لم تكن مؤهلة لمعرفة ما هو فوق مستواها من أمور روحية، غير أنه يقدم في ذات الوقت من آيات العهد القديم ما يتطابق مع استشهادته من العهد الجديد ليؤكد على وحدة الكتاب المقدس.

ونرى أن للقديس بولس الرسول مكانة متميزة عند القديس ذهبي الفم فاقتباساته من رسائل القديس بولس تأخذ النصيب الأكبر، ونلاحظ أن اقتباسات ذهبي الفم هي بالطبع من الذاكرة وليست منقولة وبالتالي ففي بعض الأحيان نجدها غير حرفية.

بناء العظة

تتكون عظة القديس ذهبي الفم من ثلاث أجزاء هي:-

أولا مقدمة تمهيدية: وفيها يشدد القديس يوحنا على أهمية الاستماع لكلام الوعظ والانتباه إليه وحفظه، ويشجع مستمعيه على أن ينقلوا لعائلاتهم في المنزل كلمة العظة بعد انتهاء اجتماعهم، في هذه المقدمة يقدم ذهبي الفم أجمل ما في فنون الخطابة من تشبيهات بليغة، فتارة يشبه فترة الصوم الأربعيني للمؤمن بفترة الربيع بالنسبة للمزارع وزينة الارض بالزهور الجميلة، وكذلك سكينة البحر بالنسبة للملاحين، وتارة

يقدم تشبيهات من وحي حلبات المصارعة الأغريقية وتارة أخري من السباحة والغوص أي من واقع البيئة والطبيعة.

ثانيا تفسير النص الكتابي: بعد التمهيد ينتقل إليَ لب الموضوع الذي يرتكز على النص الكتابي، وفي بعض الاحيان يكون هناك مراجعة لموضوع العظة السابقة، بحيث تكون المدخل لموضوع العظة الجديدة.

الخاتمة: وفي النهاية يختم ذهبي الفم عظاته بموضوع أخلاقي يحث فيه مستمعيه على فعل الخير كتدريب عملي.

وفهم بناء عظة القديس ذهبي الفم ضروري لمن يرغب في استيعاب عظات القديس وتفاسيره الكتابية، حيث يشتكي البعض من أن القديس يوحنا ذهبي الفم كثيرًا ما يخرج عن الموضوع الأساسي في التفسير، والسبب في هذا الأمر يرجع إلى عدم إدراك أن القديس كان يقدم تفسيره في قالب وعظي وبالتالي يتحتم عليه تقديم مقدمات تمهيدية ونصائح ختامية تكون بعيدة عن لُب التفسير، ولذلك فقد عمدنا على وضع العناوين الجانبية للنص، حتى نسهل علي القارئ متابعة الموضوع بدون تشتت.

الأفكار اللاهوتية العامة في هذه العظات

١ – ترابط العهدين

يؤكد القديس يوحنا ذهبي الفم على ترابط وتوافق العهد القديم مع

العهد الجديد[٢٠]، ويرد على اليهود الذين لا يؤمنون بالعهد الجديد مؤكدًا على تناغمه مع العهد القديم، وفي نفس الوقت يرد على أتباع ماركيون[٢١] الذين كانوا ينكروا العهد القديم معتقدين بأن إله العهد القديم هو إله العدل والقضاء على عكس إله العهد الجديد المحب.

٢- الخلق من العدم

يؤكد القديس يوحنا على عقيد الخلق من العدم ἐκ τοῦ μηδενός، ex nihilo، ضد الفكر الأفلاطوني الذي كان يعتقد بأزلية المادة بجوار الطبيعة الإلهية، وكان يعتقد أن دور الله ينحصر فقط في تشكيل المادة، حتي دُعي العالم باليونانية κόσμος من الفعل اليوناني κοσμέω أي "يزين" وأحد معانيه أيضا "يشكل" أي أن الخليقة بهذا المفهوم مجرد شيء تم تشكيله من مادة سابقة الوجود.[٢٢]

٣- الله ليس له صورة بشرية

ويشدد ذهبي الفم على رفض الفكر الذي ينادي بأن الله له هيئة

---

[٢٠] العظة الأولى

[٢١] هرطوقي ظهر في القرن الثاني، نادى بأن العهد القديم ما هو إلا تاريخ الأمة اليهودية، وأن إله العهد القديم كان قاسيًا، خلق البشر ودفعهم إلى ارتكاب الخطية، ثم عاقبهم عليها، ولم يقبل من العهد الجديد سوى بإنجيل لوقا، وبعض رسائل القديس بولس. وصلت لنا أخباره عن طريق ترتليان الذي كتب خمسة كتب ضده.

[٢٢] للمزيد أنظر كتاب د. سعيد حكيم *"الآباء والعقيدة"*، مؤسسة القديس أنطونيوس – المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ٢٠١٢، ص ٤١-٥٣.

بشرية θεῖον ἀνθρωπόμορφον وهي فكرة هاجمها بشدة الآباء الإسكندريين مثل القديس كيرلس الكبير[٢٣]. ويشرح القديس ذهبي الفم كيف أن الجوهر الإلهي لا يُعبر عنه بأسلوب إيجابي، بل بما يعرف بالأسلوب السلبي ἡ ἀποφατική μέθοδος[٢٤] وهو أمر لا يقتصر فقط على الجوهر الإلهي إنما يشمل أيضًا بعض أفعال الله.

٤- لا يمكن تفسير كل أفعال الله

يشرح ذهبي الفم كيف أن بعض أفعال الله لا يمكن تعليلها مدللًا على أنه حتي بعض الأمور الخاصة بالإنسان لا يمكن تفسيرها مثل العمليات الحيوية الحادثة في جسم الإنسان من تحول الطعام إلى دم ولحم وعظام الخ. ويذهب القديس يوحنا للقول بأن بعض أفعال البشر التقنية أيضا لا يمكن تفسيرها، وبالتالي فإنه لا يمكن تفسير أفعال الله مثل الخلق من العدم.

٥- أدم خُلِق سيدًا ورأسًا لخليقة بديعة

يشدد القديس ذهبي الفم على أن آدم قد خُلِقَ رأسًا لخليقة بديعة

---

[٢٣] أنظر كتاب القديس كيرلس الكبير *"ضد الذين يتصورون أن لله هيئة بشرية"* ترجمة د. جورج عوض ابراهيم، مايو ٢٠١٣.

[٢٤] أي أننا لا نستطيع أن نعرف ما يتصف به الله تحديدًا بل فقط يمكننا أن ننفي عنه الصفات البشرية مثل أنه غير محدود، غير مبتدئ الخ، وللقديس ذهبي الفم مُؤلَف عن ذلك الموضوع، أنظر: القديس يوحنا ذهبي الفم، *"الله لا يمكن إدراكه"* ضد الأنوميين، الجزء الأول، ترجمة القمص مرقوريوس الأنبا بيشوي، الناشر مؤسسة القديس باسيليوس، ٢٠٠٨.

لذلك فإنه كمثل أي ملك مزمع أن يدخل مدينة يجب أن يتم تهيئة هذه المدينة وتزينها قبل قدومه لذلك فقد خلقه الله بعد أن زين المسكونة كلها قبل خلقته تكريما له وليس تقليلاً من شأنه. ويشدد القديس يوحنا على أن الله قد خلق آدم كي يكون سيدًا ومتسلطًا علي هذه الخليقة. ومن علامات هذه السيادة هو سيطرة آدم علي جميع الحيوانات والوحوش وخضوعها له. فيرى ذهبي الفم في دعوة آدم لتسمية الحيوانات بأسمائها دليلاً قاطعًا على خضوعها له. كذلك فإن حديث حواء مع الحية برهانًا على عدم خوف الإنسان من الوحوش قبل السقوط. ويؤكد ذهبي الفم على أن خلق الإنسان سيدًا هو دليل على كرم الله ومحبته للبشر إذ أن الناس في العادة تنال التكريم بعد بذل الجهد والمشقة في مسيرة حياتها وبعد ذلك تستحق الإشادة والتكريم، ولكن على العكس من ذلك فقد كرم الله الإنسان حتى قبل أن يخلقه، إذ هيئ له كل الخليقة لاستقباله.

٦- الإنسان مخلوق على صورة الله

يؤكد القديس يوحنا ذهبي الفم على أن مفهوم خلقة الإنسان على صورة الله ومثاله لا يعني أن الإنسان خُلِقَ من نفس جوهر الله، كلا بالطبع، فالقديس يوحنا يرى أن الصورة هي في السلطة والسيادة على الخليقة وليست في الجوهر.

٧- المرأة خلقت مساوية للرجل تمامًا وسيادته عليها أمرًا عارضًا كنتيجة للسقوط

يؤكد القديس يوحنا ذهبي الفم على أن المرأة قد خلقت مساوية للرجل تمامًا، فهي ليست فقط معينًا للرجل بل أيضًا "نظيرًا" له أي مساوية له تمامًا، وقد خلقها الله بنفس العبارة التي خلق بها آدم دون تفريق، فليست المرأة أقل من الرجل في أي شيء فطبيعتها هي نفس طبيعة الرجل. هنا يؤكد ذهبي الفم على أن سيادة الرجل على المرأة جاءت كحالة عارضة بسبب الخطية، وليست بسبب يتعلق بطبيعتها، فآدم وحواء لهما نفس الطبيعة تمامًا دون تفوق أو تميز لطبيعة الرجل على طبيعة المرأة. هذه واحدة من أهم الأفكار التي قدمها لنا خطيب الكنيسة الأشهر، الذي يوضح أن سيادة الرجل على المرأة هي "حالة" نتجت بسبب الخطية، ويؤكد بأن المرأة الفاضلة لا تخضع لهذه السيادة إذ بسيرتها الحسنة تصير معلمًا لرجلها.

٨- مفهوم الشر والخطية

يرى القديس يوحنا أن الشر هو المعصية بينما البر هو الطاعة، ويؤكد أن عقوبة الخطية الأولى لا ترجع لنوع الخطية إنما إلى طبيعتها ويشبه دائما ذهبي الفم الخطية بالمرض العضال ويؤكد أن طبيعة هذا المرض هي التي تُمِيت وليست نوعيته.

٩- الخطية تجلب العبودية

عند القديس ذهبي الفم ثمرة الخطية هي العبودية، فطالما كان الوضع الطبيعي للإنسان هو السيادة والسلطة، فالخطية إذن تفقده هذه السلطة وبالتالي يصير عبدًا ويشدد ذهبي الفم علي مبدأ مهم هو أن العبودية عنصر غريب عن الطبيعة البشرية إذ يؤكد بوضوح أن الله لا يخلق عبيدًا. ولكن بالخطية أصبح الإنسان يخاف الوحوش لأنه قد فقد سيادته الأولى عليها، وكذلك فقدت حواء كرامتها الأولى ومساواتها الكاملة للرجل.

١٠- العبودية ثلاثة أنواع

يري القديس أن الخطية قد جلبت على الإنسان ثلاث أنواع من العبودية وهي على الترتيب

١- سيادة الرجل علي المرأة وهي أخف نوع من أنواع العبودية

٢- نظام العبودية بين الناس كما حدث مع حام الذي صار عبدًا لإخوته.

٣- نظام العبودية للملوك والرؤساء وهو أسواء نظم العبودية على الإطلاق.

١١- خلق الله الإنسان مميزًا بين الخير والشر

خلق الله آدم حكيمًا وليس غرًا ساذجًا، لذلك يصر القديس ذهبي الفم على التأكيد أن آدم كان عارفًا للخير والشر قبل أن يأكل من

الشجرة المحرمة، ويؤكد القديس على أن هذه المعرفة هنا هي التمييز بين ما هو صالح وما هو طالح، لأنه من المحال أن يكون آدم أقل حكمة من الحيوانات العجماوات التي تعرف أن تميز ما ينفعها عما يضرها ويبرهن القديس على ذلك:-

١- لأن آدم مخلوق على صورة الله ومثاله وبالتالي خُلِق حكيمًا.
٢- أن آدم كانت لديه من الفطنة ما مكنه من أن يسمي كل الحيوانات بأسمائها وهذا دليل على حكمته.
٣- طالما أن آدم كان مؤهلاً لأن يستلم من الله وصية، فبالتالي كان قادرًا على التمييز بين الخير والشر.

١٢- معرفة الشر هي اختباره عمليًا بالممارسة

يؤكد القديس ذهبي الفم على أنِ معرفة آدم للخير والشر قبل السقوط، لا تعني أن آدم كان يعرف الشر بمعني أنه أختبره قبل الأكل من الشجرة، بل أنه كان مميزًا له عن الخير. ولكن بعد كسر الوصية بالأكل من الشجرة المحرمة، صارت عند آدم المعرفة الاختبارية للشر وذلك بكسره للوصية ويقدم ذهبي الفم عدة أمثلة على لذلك لتقريب المعنى:

١- فالإنسان يعرف المرض ولكن عندما يصاب به تكون له المعرفة الاختبارية للمرض عندما يذوقه.
٢- قايين كان يعرف أن قتل أخيه خطية ولكن بعد جريمته وعقابه

صارت له معرفة اختبارية للخطية.

ونجد أن القديس يوحنا يضع ثلاث درجات لمعرفة الشر: الأولى هي معرفة نظرية قبل السقوط وهي للتمييز بين الخير والشر، وهي نابعة من حكمة آدم كونه مخلوق على صورة الله، ثم معرفة أخرى أكثر وضوحًا بعد الممارسة العملية للخطية، وهي المعرفة الاختبارية، وفي النهاية، معرفة ثالثة أكثر وضوحًا من سابقتها وهي عندما يعاقب الإنسان على خطيته فيصل لحالة إدراك كامل للشر بتذوق نتائجه.

١٣- معرفة الشر لم تأتي من طبيعة الثمرة المحرمة بل من المعصية.

يصر القديس يوحنا ذهبي الفم وبإلحاح على التأكيد من أن الأكل من الشجرة المحرمة في حد ذاته لم يكن هو السبب في معرفة الإنسان للشر، بل أن السبب هو المعصية بكسر الوصية، فطبيعة الثمرة لم تكن بها ما يهب الإنسان معرفة الخير أو الشر، ويحذر ذهبي الفم من أن هذه الفكرة المغلوطة - أن الثمرة في حد ذاتها تهب المعرفة- هي فكرة الشيطان التي أوهم بها حواء، وقد كان كاذبًا مثلما كذب عندما أوهمها بالألوهية.

ويجيب على التساؤل لماذا إذن دُعيت الشجرة بهذا الاسم ويقدم ذهبي الفم في عظة مستقلة مجموعة من البراهين لتدعيم وجهة نظره، مؤكدًا أن التسمية تتعلق بطبيعة الكتاب المقدس الذي يسمي الأشياء

طبقًا للأحداث المرتبطة بالمكان أو الزمان ويعطي أمثلة علي ذلك من الكتاب المقدس.

١٤- كيف ننجو من آثار خطية آدم

يتعرض القديس ذهبي الفم لمسألة آثار خطية آدم ولكن ليس من توجه عقيدي عن الخطية الأولى وآثارها على الجنس البشري بل من منظور أخلاقي عملي، فالقديس ذهبي الفم لم يكن يقدم أبحاثًا لاهوتية كما سبق وأوضحنا إنما عظات تتمركز في الأساس حول الأخلاق المسيحية. لذلك يحاول ذهبي الفم الرد على التساؤلات الخاصة بهذا الشأن مثل: ما هو ذنبنا في تحمل نتيجة فعل آدم؟ فيضع ذهبي الفم قاعدة وهي أننا لا نستطيع تحمل مغبة خطية آدم المتمثلة في العبودية إلا عندما نشاركه خطيته، فمن يتحد مع آدم في خطيته يتحد معه في آثارها أما مَنْ يحيا في المسيح بحياة الفضيلة فلن تكون للخطية أو للعبودية سلطان عليه. ويعطي على ذلك أمثلة مثل المرأة الفاضلة التي تصير معلمة لرجلها وليس خادمة له فلا تشارك حواء في سيادة آدم عليها، كذلك دانيال لم تفترسه الأسود لأنها رأته متلألئًا بالصورة الأولى والملوكية التي كانت في آدم قبل السقوط، والأمر ذاته حدث مع الثلاث فتية القديسين وهم في آتون النار. الخلاصة هي أن العلاج الوحيد لآثار الخطية هو حياة البر في المسيح.

١٥- المسئولية الشخصية للإنسان

واحدة من أهم أفكار واعظ الكنيسة الأشهر ذهبي الفم فيما يخص آثار خطية آدم على الجنس البشري هو تركيزه على أن أفعال كل إنسان هي السبب في سلطان خطية أدم عليه، وهو أمر واضح مما سبق وذكرناه من أمثلة للصديقين الذين لم يكن لسلطان خطية آدم المتمثلة في العبودية أو الخوف من الوحوش أي قوة عليهم، ويلخص ذهبي الفم ثلاثة أسباب تؤكد على أن الإنسان لا يؤخذ بذنب آدم وهي:

١- أن الأسلاف أخطأوا أيضا وليس الأبوين الأولين فقط.

٢- أن الصديقين الذين سلكوا بالتقوى لم يكن للخطية سلطان عليهم مثل دانيال والفتية الثلاثة والقديس بولس والمرأة المتعقلة

٣- أن فداء المسيح وخلاصه قدم لنا من النعم ما هو أعظم من مغبة خطية أدم.

ويجب التنبيه على أن بعض الهراطقة حاولوا استغلال تعاليم القديس يوحنا عن مسئولية الإنسان الشخصية عن الخطية وعن بر القديسين في العهد القديم حتى ينكروا أثر خطية آدم على الجنس البشري واحتياج الأبرار لخلاص المسيح، الأمر الذي رفضه القديس أوغسطينوس موضحًا من تعليم القديس يوحنا ذهبي الفم - كما ذكرنا - تأكيده على انتشار آثارَ الخطية في الجنس البشري واحتياج الجميع لخلاص المسيح.

١٦- تأثير نعمة المسيح أعظم من تأثير خطية آدم

يشدد ذهبي الفم على عطية المسيح أعظم بما لا يقاس من خطية آدم ونتائجها على البشرية، يستعين القديس ذهبي الفم بتعاليم القديس بولس الرسول عن النعمة ليؤكد أن العطية التي مُنِحت للإنسان بعد الفداء أعظم مما كان له قبل السقوط، إذ يرى أن *"الشرور التي أدخلها العبد كانت أقل من الخيرات التي منحها السيد"* ويقدم ذهبي الفم اللص اليمين كمثال وبرهان على سخاء نعمة المسيح التي غفرت له خطاياه على كثرتها، وعلى النقيض من ذلك، فإن معصية واحدة لآدم سببت له ضيقات كثيرة.

بل يذهب ذهبي الفم إلي القول بأن النعم التي أجزلها لنا المسيح بفدائه جعلت حال الإنسان أفضل من حاله حتى قبل سقوطه، فيدع الإنسان ألا يتحسر على نعيم الفردوس الأول، فيقول: هل تأسف لأن الوحوش كانت تخضع لك؟ ها هو السيد يعطيك السلطان أن تدوس الحيات والعقارب، ولكن يشترط القديس يوحنا أن يكون الإنسان مدققًا في حياته مع الله، بل إن الشيطان أيضا نسحقه تحت اقدامنا وليس كالوعد السابق: *"هُوَ يَسْحَقُ رَاسَكِ وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ"*[٢٥]. أما حواء، فيؤكد القديس ذهبي الفم لها أنها لم تصر مساوية للرجل بل للملائكة! واعدًا إياها بالحياة الأبدية المملوءة نعيم أبدي.

---

[٢٥] تك ٣: ١٥

١٧- أهمية الوصية وفائدتها للإنسان.

لا يفرق القديس يوحنا ذهبي الفم بين كلمة الوصية وكلمة الشريعة أو الناموس ويرى أن الله يضع دائما الوصية لأجل خير الإنسان وصلاحه، فالوصايا والقوانين هي ضرورة لأجل الحياة ولذلك فإنه يرى أن وجود الرؤساء والحكام ونظام الثواب والعقاب هو لفائدة الإنسان وليس لضرره أو لتقييد حريته. فالله لم يضع الوصية لإزلال الإنسان بل لخيره.

١٨- مفهوم العقوبة عند القديس يوحنا ذهبي الفم

أ. الله يعاقب ولكن برأفة لأنه محب البشر

يشدد دائما القديس ذهبي الفم على أن تأديب الله دائما محتمل، لأنه لفائدتنا، فالله يترأف في عقابه للإنسان، فسيادة الرجل على المرأة هي لأجل حمايتها وبالتالي فهذه العقوبة قد حولها الله لفائدتها إذ قد صار الرجل بالنسبة للمرأة ميناء خلاص وملجأ. كذلك فيما يخص فقدان الإنسان سيطرته على الحيوانات والوحوش، يؤكد ذهبي الفم أنه ليس كل الحيوانات صارت خارج سيطرة الإنسان، إذ أن الله قد أبقى كل حيوان مفيد وصالح للإنسان تحت سيطرته، طالما ينفع الإنسان في زراعته ورعيه، إنما فقط الحيوانات المتوحشة وغير النافعة له هي التي صارت خارج سيطرته. ويشدد القديس على أن مقدار العقوبة تنظمها حكمة الله على النحو الواجب، مثل جرعة الدواء التي تعتمد على حكمة الأطباء.

ب. العقوبة هي لتقويم وإصلاح الإنسان وليست للانتقام منه.

كما يشدد القديس يوحنا على أن عقوبة الخطية هي لفائدة الإنسان حتي لا يتمادى في الشر. وهكذا يؤكد القديس ذهبي الفم أن الله دائما محب للبشر وعقوبته دائمًا رحيمة. فيؤكد القديس يوحنا أن العقوبات التي يضعها الله لمن يكسر الوصية هي كالدواء لعلاجه حتي لا يتمادى في الشر ومن ثم فهي ليست أعمال انتقامية من جانب الله، بل تحمل ملامح تربوية لعلاج أمراض نفوسنا، ويقول أيضا: " ***فبعد ذلك (أي بعد السقوط) دخل الخوف للإنسان وهذا دليل على عناية الله، لأنه لو أن الانسان بعد أن عصى وكسر وصية الله بقى هكذا بلا تغير في الكرامة التي قد منحها له الله، فما كان من الممكن للإنسان أن ينهض هكذا بسهولة من سقوطه.*** "

١٩- قيامة الأجساد ونعيم الجسد مع النفس

يتطرق القديس لموضوع قيامة الأجساد ويهاجم الأفكار الهرطوقية التي كان يروجها أتباع ماني[٢٦] في أنه لا قيامة للأجساد، إذ يؤكد القديس أنه طالما كان الجسد مشاركًا للنفس في الجهاد والمشقة فيجب أن ينال هو أيضًا نصيبه من النعيم مع النفس في الدهر الآتي.

---

[٢٦] ماني ظهر في القرن الثالث وقام بتأسيس ديانة خليط من اليهودية والمسيحية وبعض الديانات الأسيوية وقد أعتقد بإله للخير وأخر بالشر، ونادى بأن المادة والجسد شر، وبالتالي رفض قيامة الأجساد، وحرم الزوج وأكل اللحم.

هذه الترجمة

قمنا بالاستناد على النص اليوناني المحقق في مجموعة *SC* وقد استعنا بكل من الترجمة اليونانية الحديثة للنص في مجموعة ΕΠΕ وكذلك بالترجمة الفرنسية الحديثة في مجموعة *SC* وكذلك ببعض الترجمات الفرنسية القديمة الأخرى[٢٧] وأيضا قمنا بمراجعة بعض الفقرات على الترجمة الإنجليزية الصادرة-حديثًا، غير أن النص الذي نقدمه في النهاية لا يتبع أي من هذه الترجمات بالضرورة سوى النص اليوناني الأصلي. وقد بذل **الدكتور جورج عوض إبراهيم** مجهودًا كبيرًا في تدقيق الترجمة وتصحيحها بالكامل على النص اليوناني.

هذا وقد أضافنا من عندنا العناوين الجانبية للنص لتسهيل تقسيم الموضوعات. أما العناوين الرئيسية للعظات فمن الواضح أنها من وضع النُساخ، وهي تختلف في بعض المخطوطات وقد ألتزمنا بالنص المحقق في *SC* ووضعنا في الهامش النص التقليدي في *PG*. وقد وضعنا بين قوسين (...) في صلب النص ما رأينا إضافته علي النص الأصلي لتوضيح المعني. وقد استحسنا استخدام النصوص الكتابية بحسب الترجمة العربية الشائعة (فانديك) بدل من عمل ترجمة خاصة لها، ما خلا بعض نصوص العهد القديم التي رأينا أنه لا بد من وضع النص بحسب الترجمة السبعينية، وقد أشرنا لذلك في الهامش.

[٢٧] هذه العظات لها ٣ ترجمات فرنسية من القرن التاسع عشر، وقد استعنا باثنتين منها وهما المذكورين في قائمة المراجع، هذا بخلاف الترجمة الفرنسية الحديثة المنشورة في *SC*.

العظة الأولي

لأبينا القديس يوحنا رئيس أساقفة القسطنطينية، ألقاها في بداية الصوم الأربعيني عن الصوم وعن السبب الذي لأجله بدأ موسى حديثه عن السماء والأرض وعن عمل الرحمة[٢٨]

مقدمة عن ربيع الصوم

١- مفرح هو الربيع للبحارة وكذلك أيضا للمزارعين، غير أنه ليس بهذا القدر من الابتهاج بالنسبة للبحارة والمزارعين بقدر ما هو مبهج وقت الصوم لأولئك الذين يرغبون في التأمل[٢٩] فهو وقت الربيع الروحي للنفوس حيث الهدوء الحقيقي للأفكار والحواس. فإن الربيع ممتعًا للمزارعين لأنهم يروا الأرض وقد تكللت بالزهور، وأوراق النبات تزهر ممتدة في كل أجزاء الأرض مثل الثوب المزخرف، أما البحارة فالربيع لهم ممتع إذ أن فيه مظهر البحر يمنح الشعور بالأمان لملاحة السفن، فالأمواج ساكنة وأسماك الدلفين تلعب بطمأنينة شديدة وكثيرًا ما تقترب من جوانب السفن، أما بالنسبة لنا فربيع الصوم ممتعًا لأنه عادة يُسكِن لنا لا أمواج البحر إنما الشهوات الجامحة، فنتكلل ليس بالزهور ولكن

---

[٢٨] هذا العنوان حسب النص اليوناني المحقق في *SC* وبحسب النص اليوناني في *PG*: "*ألقيت (هذه العظة) في بداية الصوم الأربعيني على أية فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ*" تك ١:١ *وعن عمل الرحمة*"

[٢٩] حرفياً (التفلسف = φιλοσοφεῖν) الكلمة هنا ذات مدلول مسيحي عن التأمل.

بالنعم الروحية لأنه يقول "*إِكْلِيلُ نِعْمَةٍ لِرَأْسِكَ*"[٣٠] فمجيء طائر السنونو عادة لا يطرد بسهولة الشتاء[٣١]، بمقدار ما تطرد فترة الصوم شتاء الأهواء فلا توجد حرب النفس ضد الجسد إذ لا تتمرد العبدة على سيدتها[٣٢]، بل تتوقف تمامًا هذه الحرب.

فطالما عندنا سلام وهدوء عظيم، فدعونا نبحر بمركب التعليم، ناقلين أسمعانا الهادئة من ميناء لأخر. ليتنا نشرع في الانشغال بالمعاني السامية متأملين[٣٣] في السماء والأرض والبحر وكل عناصر الخليقة الأخرى. لأن هذه الأمور قد قرئت علينا اليوم[٣٤].

الخليقة كوسيلة لمعرفة الخالق

(وقد يتسأل المرء قائلاً): ماذا يهمنا في الحديث عن الخليقة؟ فأقول بكل تأكيد أن الأمر يهمنا يا أحبائي، إذ أنه يمكننا أن نرى الخالق من خلال عظمة وجمال الخليقة، فبمقدار اهتمامنا وانشغالنا بعظمة الخليقة بمقدار ما يقودنا ذلك أكثر وأكثر إلى الخالق نفسه.

---

[٣٠] امثال ١:٩

[٣١] السنونو طائر صغير رشيق له جناحان طويلان قويان وساقان صغيران ضعيفان يصلحان فقط لهبوط الطائر، وله منقار كبير من الطيور المهاجرة، يطير مسافات طويلة تفاديًا للبرد، حيث يحل في المناطق الدافئة.

[٣٢] المقصود بعبارة تمرد العبدة على سيدتها :ثورة الجسد ضد الروح.

[٣٣] حرفيًا : متفلسفين .

[٣٤] يوضح القديس أن هذا النص من التكوين كان من ضمن القراءات الليتورجيا لليوم.

فإنه لصلاح عظيم أن نعرف ماهية الخليقة ومَنْ هو الخالق؟ ما هو العمل (المخلوق)؟ ومن هو المُبدع؟ لأنه لو أن أعداء الحق كانوا يعرفون أن يميزوا بينهما بدقة ما كانوا قد وصلوا لخلط كل الأشياء معًا، قالبين الأمور رأسًا على عقب، ليس لأنهم انزلوا النجوم والسماء لأسفل، ورفعوا الأرض لأعلى، بل لأنهم أنزلوا ملك السماوات من العرش الملوكي وأقاموه مع المخلوقات، بينما تلك المخلوقات كرموها بكرامات الألوهية.

فلو أن أتباع ماني[٣٥] عرفوا أن يقدموا تعليما سليمًا عن الخليقة، ما أمكنهم أن يكرموها ويخصوها بصفات الغير المخلوق، تلك المخلوقات التي جاءت من العدم، التي تفنى وتتغير ومصيرها إلى الاضمحلال.

فلو أن اليونانيين[٣٦] عرفوا أن يقدموا تعليما صحيحًا عن الخليقة ما أمكنهم أن يضلوا عن الحق ويكرمون الخليقة ويعبدونها بدلا من خالقها. فالسماء رائعة لذلك خُلِقَت حتى تَسجُد (أنتَ) لخالقها. والشمس متلألئة لكنها خلقت حتى تتعبد لبَارِيها، . أمّا إذا بقيت متأملاً في أعجوبة الخليقة وتوقفت عند جمال المخلوقات فإن النور يكون قد صار لك ظلامًا، أو بالأحرى تكون قد حوّلت النور إلى ظلمة.

---

[٣٥] فيما يخص ماني أنظر المقدمة في هامش ص٣٩.

[٣٦] المقصود باليونانيين: الوثنيين.

فائدة الحديث عن الخلق

أرأيت كم هو صالح أن تعرف علة وسبب الخلق؟ فلا تتغافل إذن عن تلك الفائدة ولكن لتتنبه للكلمة بكل اهتمام لأننا لن نتحدث فقط عن السماء والأرض والبحر ولكن أيضاً عن خلقتنا الخاصة ووجودنا ومن أين أتى الموت ولأي سبب الحياة مليئة أتعابًا ومن أين تأتي الضيقات والهموم؟ وأيضا كيف تأتينا العناية الإلهية؟ إذ أن الله قدم شرحًا لأسباب كل ذلك ولأمور أخرى كثيرة وأرسل لنا هذا السفر، لان الله لا يتحاشى أن يتحاجج مع البشر بل يصرخ بواسطة النبي قائلاً "*هَلُم نَتَحَاجَجْ، يَقُولُ الرَّبُّ*"[٣٧] فهو لا يحاجج ويدين فقط ولكن يُعلمنا أيضا كيف يمكن أن نتجنب الدينونة لأنه لم يقل فقط "هلم نتحاجج" بل يعلمنا أولاً ما يجب أن نقول وما يجب أن نفعل وهكذا يقودنا إلى المُحَاكَمَة.

اسمع أولا الكلمة النبوية: "*اِغْتَسِلُوا. تَنَقَّوْا. اعْزِلُوا شَرَّ أَفْعَالِكُمْ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيَّ. كُفُّوا عَنْ فِعْلِ الشَّرِّ. تَعَلَّمُوا فَعْلَ الْخَيْرِ. اطْلُبُوا الْحَقَّ. انْصِفُوا الْمَظْلُومَ. اقْضُوا لِلْيَتِيمِ. حَامُوا عَنِ الأَرْمَلَةِ.*"[٣٨] بعد أن قال هذا أردف حينئذ قائلاً: "*هَلُم نَتَحَاجَجْ، يَقُولُ الرَّبُّ*"[٣٩] وكأنه يقول لا أريد أن آخذكم مجردين ومقفرين من حقوقكم بل مسلحًا إياكم بالحجج

---

[٣٧] أش ١:١٨

[٣٨] أش ١:١٦و١٧ حسب نص الترجمة السبعينية لذهبي الفم "*اغتسلوا، تنقوا، ابتعدوا من شرور انفوسكم تعلموا أن تفعلوا الصلاح أعطوا حق اليتيم وانصفوا الأرملة*"

[٣٩] أش ١:١٨

والبراهين، هكذا أدعوكم لتحمل المسئولية، وأيضا أود أن أتقدم في المحاكمة معكم لا لكي أدينكم إنما كي أتحنن عليكم، وهكذا يقول في موضعا أخر *"ذَكِّرْنِي فَنَتَحَاكَمَ مَعًا. حَدِّثْ لِكَيْ تَتَبَرَّرَ."*[٤٠] أَلديك مشتكٍ قاسٍ وصعب المراس، إلحق واخطف مكانه وسد فمه الوقح.[٤١]

٢- فمنذ البدء إذن والله يتحدث بنفسه مع البشر كلما أمكن أن يسمعوه فهكذا اقترب وتحدث مع آدم، هكذا أكرم قايين، وبالمثل تحاور مع نوح وقَبِل ضيافة إبراهيم، لأن طبيعتنا قد جنحت للشر وفصلت نفسها وكأنها في منفى بعيد، وهو يرسل لنا رسائل مُجَدِدًا صداقته القديمة معنا، وكأننا نوجد في هجرة بعيدة. وهذه الرسائل قد بعثها الله، وقدمها لنا موسى، فماذا تقول إذن هذه الرسائل؟ : *"فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ"*[٤٢]

لماذا لم يتحدث عن خلقة الملائكة والكائنات الروحية؟

لأي سبب لم يحدثنا عن الملائكة ولا عن رؤساء الملائكة؟ لأنه إن

---

[٤٠] أش ٤٣: ٢٦

[٤١] المشتكي κατήγορον هو إبليس والكلمة العبرية شيطان تحمل هذا المعني، ويقابلها في اليونانية كلمة διαβολός التي تعني المفتري وكلاهما يعني أن ابليس المشتكي أو المفتري على الإنسان المتهم أمام الله الذي هو القاضي والديان العادل. هنا يحثنا القديس ذهبي الفم بأن نغتصب مكان المشتكي علينا أمام الله أي نستبقه بالحديث إلى الله عما يشتكي به علينا فنتحدث إلى الله ذاكرين ضعفاتنا وأخطائنا لكي نتبرر.

[٤٢] تك ١: ١

كان الخالق يُنظر (يُعرف) أكثر من المخلوقات، فبالأكثر يظهر جليًا من خلال تلك (الكائنات الروحية)، فالسماء حسنة ولكن ليست حسنة بنفس مقدار الملاك، والشمس لامعة ولكن ليست بنفس لمعان رئيس الملائكة.

لأي سبب إذن ترك الطريق الأسمى قائدًا إيانا للطريق الأدنى؟ لأنه كان يُحَدِث اليهود الذين كانوا غير مدركين (للأمور الروحية) وكانوا معتادين على الأمور الحسية إذ قد خرجوا لتوهم من مصر حيث كان الناس يعبدون تماسيحًا وكلابًا وقرودًا، وما كان من الممكن أن يقودهم (موسى النبي) للخالق بالطريق الروحي الأكثر سمواً. لأن ذلك الطريق وإن كان أكثر سمواً ولكنه أيضا أكثر صعوبة، وصعوده صعب، وشاق على الضعفاء روحيًا، لذلك قادهم بالطريق الأكثر سهولة، من خلال (الحديث عن) السماء والأرض والبحر وكل الخليقة المنظورة. وللبرهان على أن هذا هو السبب، اسمع كيف يتحدث إليهم النبي عن تلك القوات السمائية، عندما حققوا بعض التقدم الروحي الطفيف فيقول: *"سَبِّحُوا الرَّبَّ مِنَ السَّمَاوَاتِ. سَبِّحُوهُ فِي الأَعَالِي. سَبِّحُوهُ يَا جَمِيعَ مَلاَئِكَتِهِ. سَبِّحُوهُ يَا كُلَّ جُنُودِهِ.لِتُسَبِّح اسْمَ الرَّبِّ لأَنَّهُ أَمَرَ فَخُلِقَتْ"* [٤٣]

ولكن ما هو العجب في كون العهد القديم يطبق هذه الطريقة في التعليم، في حين أننا نجد نفس الأسلوب في العهد الجديد – وهو عصر التعاليم الأكثر سمواً – إذ نجد بولس يتحدث مع أهل أثينا

---

[٤٣] مز ١٤٨: ١و٢و٥

مستخدمًا هذا الأسلوب في التعليم، وهو ذات الأسلوب الذي استخدمه موسى معلمًا به اليهود، هكذا لم يتحدث القديس بولس عن الملائكة ولا رؤساء الملائكة، ولكن عن السماء والأرض والبحر، قائلاً الآتي: "*الإِلهُ الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ، هذَا، إِذْ هُوَ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لاَ يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلَ مَصْنُوعَةٍ بِالأَيَادِي* "[٤٤] ولكن عندما كتب لأهل فيلبي[٤٥] لم يقودهم بطريقة التعليم هذه وإنما نقلهم إلى مستوي أعلى من التعليم قائلاً الآتي: "*فَإِنَّه فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ.* "[٤٦] وهكذا أيضا يوحنا (الانجيلي) – إذ أن تلاميذه كانوا أكثر نضجًا روحياً – فقد ذكر (المخلوقات السماوية) مع كل الخلائق الأخرى، لأنه لم يقل السماء والأرض والبحر ولكن " *كُل شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ.*"[٤٧]متحدثاً عما يُرى و ما لا يُرى.

كما يحدث تماما مع المعلمين، فتجد أن المعلم الذي يأخذ الصبي من أمه، يعلمه أولاً الحروف، أما المعلم الذي يأخذ الصبي من معلم أخر (سلفًا له)، فأنه يقود التلميذ لمستوى أعلى في التعليم هكذا قد

---

[٤٤] أع ١٧:٢٤

[٤٥] في الحقيقة فإن الاقتباس من رسالة كولوسي وليس فليبي كما يذكر القديس ذهبي الفم.

[٤٦] كو ١:١٦

[٤٧] يو ١:٣

حدث مع موسى وبولس ويوحنا. لأن موسى وضع في حسابه طبيعتنا، التي لم تكن تعرف شيئاً، لأنها كانت لتوها قد فُطِمَت عن اللبن، فعلمها أولا المبادئ الأولى لمعرفة الله، أما يوحنا وبولس فلأنهما استلما أولئك (أي الشعب اليهودي) من موسى كمن يستلم تلاميذًا من معلم، قائدين إياهم للتعليم الأكثر سمواً، مذكرين إياهم باقتضاب بالتعاليم السابقة. أرأيت القرابة التي بين العهدين؟ أرأيت التوافق بين التعليمين؟ أسمعت عن المخلوقات الحسية في العهد القديم، وعن (الكائنات) الروحية داود وهو يقول: *"لأَنَّهُ أَمَرَ فَخُلِقَتْ "*[٤٨] هكذا أيضا في العهد الجديد بعد أن تحدث عن القوات التي لا تُرى، حينئذ تحدثَ عن المخلوقات المنظورة.

الخلق من العدم

" *فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ*"[٤٩] هذه العبارة مقتضبة وبسيطة وفريدة ولكنها من الممكن أن تحطم كل حصون العدو، انتبه إذن، فقد يأتي أحد أتباع ماني ويَدَعِي أن المادة غير مخلوقة، فقل له *"فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ"*[٥٠]وحطم حالاً كل كبرياء له ولكن إن قال: لا أؤمن بكلام الكتاب، لذلك فلتصده وترده على أنه مخبول، لأن ذلك الذي لا يؤمن بكلام الله ويعتبر أن الحق مثل الكذب، فكيف لا يعد عدم إيمانه مثال جلي على خبله؟ فإن قال كيف

---

[٤٨]مز ١٤٨:٥

[٤٩]تك ١:١

[٥٠]تك ١:١

يمكن أن يصير شيئًا من العدم؟ فمن فضلك أخبرني أنت كيف يمكن أن يصير شيء من مادة سابقة الوجود؟ لأنه إن كنت أؤمن بخلق الأرض من العدم بينما تتشكك أنت في ذلك، فماذا عن خلق الإنسان من (تراب) الأرض وهو أمر نقبله نحن الاثنان، فلتجب إذن عما نقبله نحن الاثنان وهو أمر أسهل، أعني كيف أن الطبيعة البشرية قد صارت من التراب. لأنه من الأرض يصير الطين والطوب والقرميد والأواني الفخارية، ولكن أحدًا لا يمكن أبدًا أن يري لحمًا من الأرض، فكيف صارت إذن الطبيعة البشرية؟ كيف تشكلت العظام والأعصاب والأوردة والشرايين والأغشية والدهن واللحم والجلد والأظافر والشعر، ومجموعة كبيرة متنوعة من عناصر الجسد، من أرض وجدت من قبل؟ ولكن لن تستطيع أن تجيب، فكيف إذن لا يكون من الهراء أن تجهل الأكثر وضوحاً وسهولة، ثم تفحص وتدقق في الأصعب وغير المفهوم.

٣- أو هل ترغب أن أقودك إلى أمر أخر أسهل ويحدث معك يوميًا؟ ولكن ولا حتى على هذا الأمر سوف تستطيع أن تجبني عن سببه، فيوميًا نأكل الخبز، فقل لي كيف إذن تتحول طبيعة الخبز إلى الدم والمخاط والصفراء وباقي العناصر الموجودة في جسدنا؟ لان الخبز صلب وجامد بينما الدم سائل ولين، والخبز أبيض أو قمحي بينما الدم أحمر أو أحمر قاني. وباقي العناصر الأخرى التي لو فحص المرء الاختلافات فيما بينها فسوف يجد فارق كبير بين الدم والخبز، قل لي إذن كيف يصير كل هذا وأشرح السبب ولكنك لن تستطيع. ثم

أنك غير قادر علي شرح التغير الحادث يوميًا على الأطعمة (في أجسدنا)، هل تريدني أن اشرح لك عمل الله في الخلق؟ فكيف لا يكون هذا أسوء مثال على عدم التعقل؟

لا يمكن تعليل أفعال الله في الخلق لأنه حتى أفعال البشر أحيانا نفشل في تفسيرها

في الواقع، لو كان الله مماثلاً لنا فلتطلب حينئذ سبباً لأفعاله، ولكن غالبا حتى لو أن الأمر كذلك، فإنك لا تستطيع إيجاد تفسيرًا لأن كثير من الأعمال التقنية للطبيعة البشرية لا نستطيع إيجاد تفسير عن سبب صيرورتها، فعلى سبيل المثال، كيف تصير من أرض المناجم طبيعة معدن الذهب، كيف يتحول الرمل إلى زجاج نقي، وأشياء أُخر كثيرة غير تلك نستطيع أن نذكرها، تصير من أعمال البشر ولا نستطيع أن نعرف علة صيرورتها، ولكني أقول لك لو أن الله مماثلاً لنا، فلتطلب إذن تفسير لعلة هذه الأشياء، أما إن كان يختلف عنا لأبعد الحدود، ويسمو عن أن يقارن بنا، فكيف لن يكون أكبر مثال للحماقة أن نعترف من ناحية بأن حكمته وقوته هي غير محدودة، وطبيعته الإلهية غير مدركة، وأن نأتي من ناحية أخرى ونحاسبه على كل شيء يُحدِثَه كما لو كان الأمر يختص بعمل من أعمال الطبيعة البشرية؟

ولكن لنترك تلك الهواجس ولنعود إلي الصخرة الصلبة (التي تؤكد

أنه): "*فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ*" [٥١] وعلى هذا الأساس قف ولا تجعل أي شخص يلقيك في لُجة الأفكار البشرية المضطربة "*لان هواجس البشر خبيثة وأفكارهم خاطئة وغير آمنة*" [٥٢] فلا تترك ما هو راسخ وتستأمن خلاص نفسك على ما هو هش وغير آمن "*وَأَمَّا أَنْتَ فَاثْبُتْ عَلَى مَا تَعَلَّمْتَ وَأَيْقَنْتَ*" [٥٣] إذ يقول "*فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ*" [٥٤] فإن اقترب أحدًا منك سواء من أتباع ماني أو ماركيون [٥٥] أو أولئك الذين يعانوا من تعاليم فالانتينوس [٥٦] السقيمة أو أي شخص آخر، اعرض عليه هذا القول وإن رأيته يضحك، فلتبك أنتَ لأجله لأنه أحمق. فأولئك لهم لون أصفر، ومقطبة حواجب أعينهم وكلامهم مملوء من النعومة لكن تجنب الطُعم وميز الذئب الذي يختفي تحت جلد الحمل، لذلك أمقته لأنه بالنسبة لك يظهر كأنه شريك في العبودية (لله) وممتلئ وداعة وألفة، بينما بالنسبة لربنا كلنا فهو متوحش ومن الكلاب المسعورة إذ يعلن ضد السماء معركة بلا إنذار وحرباً بلا هدنة،

---

[٥١] تك ١:١

[٥٢] حكمة ٩:١٤، كثيراً ما يستخدم القديس يوحنا في كتابته هذا الشاهد من سفر الحكمة للدلالة على عجز الفكر البشري في استيعاب حكمة الله.

[٥٣] ٢تي ٣:١٤

[٥٤] تك ١:١

[٥٥] فيما يخص ماركيون أنظر المقدمة في هامش ص ٢٨.

[٥٦] هو واحد من أتباع الفكر الغنوصي القائل بأن المادة شر والذي يرى بوجود إله للخير وأخر للشر.

مستبدلاً الله بقوة مضادة له. فلنتجنب إذن سُم الشرور ولنكره الدواء السام. أما الميراث الذي نلته من الآباء أي الإيمان والتعليم الذي ينبع من الكتب الإلهية، هذا استمسك به بحرصٍ شديدٍ.

"*فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ*"[٥٧] ما يعني هذا؟! أخلق أولاً السماوات وبعد ذلك الأرض؟ هل خلق أولاً السقف ثم بعد ذلك القاعدة؟ إن الله ليس خاضعًا لما يقتضيه الترتيب الطبيعي، ولا يذعن للقوانين الفنية، لأن مشيئة الله هي إرادة الخالق ومبدع الطبيعة والأعمال الفنية وكل الموجودات بشكل عام.

لماذا خلق السماء دفعة واحدة بينما الأرض شرح بالتفصيل مكونتها

"*وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً*"[٥٨] فلأي سبب يا ترى خلق السماء على أكمل وجه بينما الأرض صنعها بشكل متدرج كما قال موسى؟ بهدف معرفة قدرته على العنصر الأسمى –أي السماء– فتكون مقتنعًا أن لديه المقدرة على أن يصنع الأرض كاملة منذ البداية مثل السماء غير أنه لأجلك ولأجل خلاصك لم يفعل هكذا! فإن قلت لي كيف إذن لأجلي ولأجل خلاصي لم يفعل هكذا؟ ذلك لأن الأرض هي مائدتنا ووطننا وطعامنا وأُمنا أجمعين، فهي مدينتنا وقبرنا كلنا، إذ أن أجسادنا قد أتت منها وطعام أجسادنا نخرجه منها وفيها نسكن ونحيا وبعد موتنا

---

[٥٧] تك ١:١

[٥٨] تك ١:٢

نعود إليها مرة أخرى، وهكذا لكي لا يجعلك تتقبل بشكل اضطراري فائدة الأرض، ويجعلك تندهش أكثر مما يجب ويجرفك تعدد خيراتها إلى عدم التقوى، فيظهرها لك خربة وخالية (بلا جمال أو شكل) قبل أن يظهرها متكاملة، حتى عندما تنظر إلى ضعفها الذي كانت عليه، تتعجب من ذاك الذي خلقها ووضع فيها كل هذه القوة، كي تمجد ذلك الذي صنع كل تلك الأشياء الكثيرة لراحتنا. لتمجد الله ليس فقط نظريًا بالمعتقد القويم ولكن بالسلوك والمعيشة الفاضلة، لأنه يقول " *فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.* "[٥٩]

خاتمة عن أهمية عمل الرحمة

٤- كنت أود أن أحدثكم عن عمل الرحمة، غير أنني أرى أنه من نافلة القول أن أعلمكم بالكلام في الوقت الذي في وسطنا يوجد ذلك القادر أن يعلمنا بأعماله، أبينا كلنا ومعلمنا[٦٠]، الذي بيته الأبوي كما لو أنه استلمه من أسلافه لهذا الهدف، لكي يقدمه لخدمة الغرباء وجعله مفتوحًا على الدوام لأولئك الذين كانوا مطرودين بسبب الحق، واستقبلهم وأحاطهم بكل عناية بكافة الطرق. لدرجة أنني لا اعرف إن كان يجب أن يدعى بيته بأنه بالفعل "بيته" أم "بيت الغرباء" أم بالحري يجب أن

---

[٥٩] مت ٥:١٦

[٦٠] المقصود هو الأب فلافيان وقد كان معلمًا للقديس ذهبي الفم، راجع مقدمة المترجم.

يكون ملكه لأنه ملك للغرباء، في الواقع أملاكنا تكون ملكنا ليس عندما تكون في حوزتنا نحن إنما عندما تكون للفقراء، ولكن بأي طريقة يكون هذا؟ أقول لك، عندما تضع أموالك في يمين الفقير فلن يهاجمك مُغتاب[٦١]، ولن تنظرك عين حاسدة ، ولن يسلبك لص، والمجرم لن يهجم عليك كي يخطف أموالك، والعبد لن يسرقك ويفر هاربًا، لأن خزينة أموالك تلك (التي وهبتها للفقراء) هي ملجأ وحِمى لا يخترق. ولكن إن أخفيتها في بيتك عندئذ ستترك أموالك في تصرف اللص والمجرم والحاسد والمتكلم بالسوء والعبد وهكذا تكون هذه الأموال معرضة للتلف. ففي كثير من المرات، على الرغم من أن الأموال تكون مؤمنة بأبواب عدة وأقفال، لتحفظها من الأخطار الخارجية، غير أنها لا تحفظها من القائمون على حراستها حيث يستولوا عليها ويفروا هاربين.

أرأيت كيف عندئذ نكون أسيادًا على أملاكنا، عندما نعطيها للفقراء؟ هذا الطريق (العطاء) ليس فقط آمن من جهة الحراسة والحفظ، ولكنه صار سببا لفائدة ومكسب أعظم. لأنه عندما تقرض مالك لإنسان فإنك ستنال مثلاً فائدة واحد في المئة، أما إن أقرضت الله من خلال الفقير، فستنال فائدة ليست واحد في المئة بل مئة ضعف. فإن كنت تزرع حقلاً خصبًا فعندما تنتج حصادًا كبيرًا، فسوف تحصد ثمارًا عشرة

---

[٦١] الكلمة اليونانية: συκοφάντης وهي تعني مشوه السمعة أو المُغتاب المفتري على الآخرين.

أضعاف أو حتى ضعف ذلك، ولكن إن كانت فلاحتك في السماء فإنه بخلاف عشرات الأضعاف من الثمار فإنك علاوة على ذلك ستنال حياةً أبديةً خالدةً وغير بائدة. فإنه (على الأرض) التعب عظيم لأولئك الذين يزرعون البذور بينما هناك (في السماء) فبدون احتياج لحرث أو ثيران أو مزارعين أو أي من المشقات الأخرى. ومن غير الممكن أن نزرع هناك (في السماء) ونخاف الجفاف أو هطول السيول أو أي من آفات النبات[٦٢] ولا من البرد أو من أسراب الجراد أو من فيضان الأنهار أو أي شيء أخر. ولكن زرعهم هناك يوجد بعيدًا عن أي ضرر. إذن عندما لا يوجد تعب ولا خطر ولا ارتياب أو أي فشل ويصير ما ينمو أكثر كثيرًا من الذي يُزرع وينبت كثير من الخيرات *"مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ"*[٦٣] كيف لا يكون مثالاً لأسوء لا مبالة أن نسعى للقليل ونترك الكثير، وأن نهجر الأَمِن ونطلب المتقلب الممتلئ من الأخطار والحاوي لكثير من الإخفاق؟ لأنه أي عذر لنا نحن الذين نفعل هذا وأي حجه سندافع بها؟ بلا شك نتحجج بفقرنا كعذر لنا ولكننا لسنا أفقر من الأرملة التي كان معها فقط فلسين وقدمتهما.

ليتنا نُظهِر إذن غيرة من غنى تلك المرأة، دعونا نقلد شهامة عزيمتها، حتى نظفر بالخيرات المحفوظة لها، تلك الخيرات التي نتمنى

---

[٦٢] حرفيا: السناج (وهو من آفات النبات ويصيب الحنطة)

[٦٣] ١كو ٢:٩

كلنا أن ننالها باستحقاق، بصلوات وتشفعات الكهنة، وبنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور. أمين.

العظة الثانية

لماذا دعا الله للوجود الشمس والقمر والسماء وباقي الموجودات قائلاً: "ليكن" بينما عن الإنسان قال "لنعمل" وما معني عبارة "على حسب الصورة".

مؤازرة صلوات الإكليروس والشعب للقديس ذهبي الفم في وعظه.

١- هل تتذكروا الأمور التي حدثتكم عنها سابقًا؟ لأنكم قد دفعتموني لدرجة كبيرة من الجرأة والتجاسر حتى أشرع في بحث موضوعات مختلفة، غير أن هذا لا أحسبه مثالاً للجرأة ولا للجسارة إذ إنني لم أنل الشجاعة من قوتي الخاصة بل قد أخذت على عاتقي الدخول إلى حلبة المصارعة مستندًا على صلوات الإكليروس[٦٤] وصلواتكم الخاصة، فكم هي عظيمة طلبة الكنيسة حتى لو كنا أكثر صمتًا من الحجارة، إذ تستطيع تلك الصلاة أن تجعل ألسنتنا أكثر خفة من جناح الطير لأن هذا يشبه تمامًا الريح الغربية عندما تهب وتدفع شراع السفينة فتُحرك المركب أسرع من السهام، هكذا أيضا صلاة الكنيسة عندما تنسكب على لسان ذاك الذي يتحدث فتُحرك الكلمة في فمه أسرع من هذه الرياح. لذلك فأنني يوميًا أبدأ المنافسة بنشاط كبير، لأنه في المنافسات التي تقام خارج الكنيسة إن كان هناك أحد

---

[٦٤] حرفياً : πρόεδροι وهم الرؤساء والمقصود الإكليروس أو الأساقفة بشكل خاص.

المتنافسين لديه عشرة أو عشرين مشجعًا متحمسًا بين جمع كبير، فإنه يأتي إلى المباراة بتأهب شديد وأنا سأفعل هذا بأكثر استعدادًا، لأنه ليس لدي فقط عشرة أو عشرين بل كل الحضور الذي يتكون من الأخوة والآباء، وإن كان بكل تأكيد في المباريات خارج الكنيسة لا يقدر المصارع أن يجني شيئًا من المشاهد سوى جلوسه على المنصة كي يصفق له ويبدي إعجابه مما يجري هناك وأن يتشاجر مع الآخرين الذين يشجعون الخصم، لكن غير مسموح للمشجعين أن ينزلوا حلبة المصارعة ويقدموا عونًا لمنافس بأن يسحب رجل الخصم أو أي شيء مثل هذا، لأن الذين يديرون تلك المباريات من البداية، يمنعون المشاهدين عن فعل أي أمر من هذه الأمور، إذ يصنعون أوتادًا مسننةً ويحيطون حلبة المصارعة بحبال. فما هي الغرابة في أنه غير مسموح للمشاهد أن ينزل إلى الحلبة في الوقت الذي يجب فيه على المدرب نفسه أن يكون خارج الملعب بالقرب من الحلبة، وأن يسمحوا له فقط بتقديم إرشاداته التعليمية من بعيد ولا يجوز له أن يقترب من الحلبة؟

غير أن الأمر ليس هكذا فيما يخص موضوعنا لأنه من الممكن للمعلم والمشاهد[٦٥] أن يقتربا منا وأن يقفا بجوارنا لمؤازرتنا حتى يشددا من عزيمتنا بصلواتهما، فلنبدأ إذن مباراتنا على نهج أولئك المصارعين

---

[٦٥] المقصود بالمعلم هو الأسقف فلافيان، والمشاهد هو جمهور الحضور المنصتين للقديس ذهبي الفم.

الرياضيين حيث يأخذونهم موثوقين من أيديهم من الوسط ثم يتم دفعهم (القفز بهم) لأسفل بسبب قوة الممسكين بهم بأيديهم وضيق المكان بسبب الجمع الحاضر وبعد أن يفلت من القبضة يعاود مرة أخرى لمكان المصارعة، ولكن متخذًا نفس الموقف السابق الذي كان عليه عندما كان مقيدًا من خصمه. وأما بالنسبة لنا فقد اضطرانا ضيق المكان أن نوقف الحديث، دعونا نتقدم إذن ونعود إلى مكان مصارعتنا لكي نفسر غموض[٦٦] ما قد قرئ علينا اليوم.

سبب قوله "لنعمل" وليس "ليكن".

إذ يقول: " *وَقَالَ اللهُ: "نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا"*[٦٧] فأول شيء يجب أن نفحصه هو الآتي: لماذا عند خلق (الله) السماء لم يقل نهائيًا في أي مكان فلنعمل بل قال "لتكن سماء" "ليكن نور" وبنفس التعبير دعا كل أجزاء الخليقة للوجود، بينما هنا فقط قال "لنعمل" كأنه يعبر عن إرادة وفكر وإعلان إلى شخص أخر له نفس الكرامة؟ فمَنْ يا ترى ذاك المزمع أن يُخلق وله مقدار هذه الكرامة العظيمة؟ إنه الإنسان الكائن العظيم والجدير بالإعجاب والذي يعتبره الله الأكثر كرامة من كل مخلوقات البَرِية، الذي لأجله خلق السماء والأرض والبحر وكل مخلوقات الكون بوجه عام، هو الإنسان الذي لأجل خلاصه أظهر الله

---

[٦٦] حرفيًا: نحل عقدة ما قرئ علينا اليوم.

[٦٧] تك ١:٢٦

محبة عظيمة، لدرجة أنه لم يضن بابنه الوحيد لأنه لم يتوقف عن فعل كل شيء حتى أنه أعتنى به ورفعه وأجلسه عن يمينه، إذ يصرخ بولس قائلاً : " *وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ*" [٦٨] لذلك عبارة "نعمل الإنسان" تعبر عن إرادة وفكر وإعلان، ليس لأن الله في احتياج للإرادة أو الفكر فهذا أمر مستبعد ولكن باستخدام هذه الكلمات يقدم لنا الكرامة التي أعطيت لهذا (الانسان) الذي خُلِق.

فإن قيل كيف للأكثر كرامة من كل العالم أن يُخلَق بعد خلق كل هذا العالم؟ وذلك لأنه الأكثر كرامة من العالم، لأنه تماما مثل ملك عندما يعتزم أن يدخل مدينة فإنه يسبقه إلى هناك رؤساء الجيش والقادة والحراس وكل العبيد حتى يجهزوا مسكن الملك، وعندما يهيئوا كل الأمور الأخرى المتعلقة باستقباله والاعتناء به يقبلون الملك بكرامة عظيمة، هكذا أيضا هنا كما لو كان الأمر يتعلق بقدوم ملك، سبقته الشمس وجرت قدامه السماء وخُلِق قبله النور، وكل شيء بشكل عام صار وأُعِد ثم حينئذ دخل الإنسان إلى العالم بكرامة عظيمة : «*نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا*" [٦٩] فليسمع اليهود. لمن يتحدث الله؟ فهذا المكتوب هو لموسى، موسى الذين يقولون أنهم يصدقونه، ولكنهم في

---

[٦٨] أف ٢:٦

[٦٩] تك ١:٢٦

الحقيقة لا يصدقونه، (فالمسيح) يقول[٧٠]: *"لأَنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ مُوسَى لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي"*[٧١] وأيضا الآن لأولئك توجد الكتب ولكن بالنسبة لنا يوجد الكنز، لأولئك توجد الكتابات أما نحن الكتابات والمفاهيم.

لمن كان يوجه حديثه : "نَعْمَلُ الإِنْسَانَ" ؟

أخبرني إذن لمن يقول : *"نَعْمَلُ الإِنْسَانَ"*؟ يقال أنه ببساطة يتحدث لملاك أو لرئيس ملائكة[٧٢]. لأنهم مثل العبيد المستوجبين للمساءلة من قِبَل أسيادهم والمستحقين للسوط، فلا يستطيعون أن يجيبوا مباشرةً بل يقولون ما يصادف أن يخرج من أفواههم، هكذا فأنتم أيضا تقولون أنه كان يخاطب ملاك أو رئيس ملائكة. فأي ملاك أو أي رئيس ملائكة؟ لأن الخلق ليس هو عمل الملائكة ولا عمل رؤساء الملائكة، فلأي سبب إذن عندما خلق السماء لم يتحدث مع ملاك أو رئيس ملائكة بل خلقها بمفرده، وعندما خلق الكائن الأسمى من السماء وأسمى من أي ما في العالم الذي هو الإنسان، أفيتخذ الله إذن شريكًا له من العبيد في

---

[٧٠] هكذا بحسب النص المحقق في *SC* أما في النص *PG* " موسى الذي يدعي الكاذبون أنهم يصدقونه ولكنهم كاذبون ولا يصدقونه، اسمع المسيح الذي ينتقدهم قائلاً : ..."

[٧١] يو ٥:٤٦

[٧٢] القول بأن حديث الله بالجمع هو حديث لله مع الملائكة هي فكرة عند اليهود، كما يوضح ذلك القديس صراحة في تفسيره للمجموعة الكبيرة لسفر التكوين (عظة ٨،٣ *PG* 53,72).

عمله؟

٢- ليس ذلك صحيحًا على الإطلاق، لأن عمل الملائكة أن يوجدوا بالقرب من الله لا أن يخلقوا، وعمل رؤساء الملائكة أن يخدموا الله لا أن يشاركوه في فكره وقراره، أسمعت ما قاله إشعياء عن سَّرَافيم القوات الذين هم الأسمي من رؤساء الملائكة. "*رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ. السَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ فَوْقَهُ، لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ، بِاثْنَيْنِ يُغَطِّي وَجْهَهُ*"[٧٣] أي أنهم يغطون عيونهم لانهم لا يقدرون أن يمعنوا النظر في الأشعة المرسلة من العرش (الالهي) فماذا تقول؟ هل يقف السَّرَافيم بجواره متوارين من الإعجاب والاندهاش حيث ينظرون هذا المنظر لتنازل الله، بينما الملائكة يشتركون في إرادته وفكره؟ غالبا هذا الأمر لا يمكن تبريره.

ولكن مَنْ ذاك الذي يحدثه قائلاً: "لَنَعْمَل الإِنْسَانَ"؟ إنه المشير العجيب، صاحب السلطان، الله القوي، رئيس السلام وأبو الدهر الاتي[٧٤]، وهو ابن الله الوحيد. له يقول "نَعْمَل الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا" لأنه لم يقل طبقا لصورتي ولصورتك أو على صورتي وصورتكم بل "*عَلَى صُورَتِنَا*" مظهرًا صورة واحدة وشبه واحد، بينما الله

[٧٣] أش ٦: ١و ٢

[٧٤] راجع أش ٩: ٦

والملائكة ليس لهم صورة واحدة ولا واحد هو الشبه بينهما، لأنه كيف تكون الصورة والشبه واحدة بين الرب وعباده؟ وحتى يكون الحديث مقبولاً من كل النواحي، لأن الكلام هنا يشير إلى صورة السلطة وهكذا يعلن الكلام تباعًا لأنه بعد أن قال "*على الصورة والشبه*" يضيف "*فَيَتَسَلَّطُون عَلَى سَمَكِ الْبَحْر*"[٧٥] غير ان سلطان الله وسلطان الملائكة لا يمكن أن يكون واحدًا، لأنه كيف يمكن أن تكون السلطة واحدة للعبيد والسيد، للخدم ولمن يأمر؟

الإنسان مخلوق على صورة الله في السيادة وليس في الجوهر.

غير أن البعض يطلعوا علينا قائلين إن الله له نفس تلك الصورة التي لنا، مسيئين فهم ما قيل، لأنه لم يتحدث عن صورة الجوهر بل صورة السيادة والسلطة كما سوف نوضح من كل ما يُقال تباعًا، لأن اللاهوت ليس له شكل بشري، فإسمع بولس الذي يقول " *فَإِنَّ الرَّجُلَ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُغَطِّيَ رَأْسَهُ لِكَوْنِهِ صُورَةَ اللهِ وَمَجْدَهُ. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَهِيَ مَجْدُ الرَّجُلِ*" ويقول " *لِهذَا يَنْبَغِي لِلْمَرْأَةِ أَنْ يَكُونَ لَهَا سُلْطَانٌ عَلَى رَأْسِهَا*"[٧٦] هكذا فإنه يدعوه هنا صورة كي يظهر تماثل صورة الإنسان نحو الله، لذلك تماما يُدعى الإنسان بإنسان الله، لأن الله قد شكله هكذا، وبالتالي طبقا لفكر أولئك لا ينبغي إذن أن يُدعى الرجل فقط بصورة (الله) بل

---

[٧٥] تك ١:٢٧

[٧٦] اكو ١١:٧-١٠

والمرأة أيضا لأن الرجل والمرأة لهم نفس الهيئة والصفات والشبه واحد.

فلأي سبب إذن دُعي الرجل (أنه مخلوقًا على) صورة الله وليس المرأة؟ وذلك لأنه لا يعني بالصورة الهيئة بل الصورة فيما يخص السيادة التي يملكها الرجل فقط وليس المرأة، فالرجل ليس خاضعًا لأحدٍ أما هي فقد وضعت تحت سلطانه. " *وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ*"[٧٧] لذلك فالرجل هو (على) صورة الله لأنه لا يوجد مَنْ هو أعلى منه، مثل الله الذي لا يوجد مَنْ هو أعلى منه، بل أنه سيد الكل، أما المرأة فهي مجد الرجل لأنها خاضعة له.

الله ليس له صورة مادية أو بشرية[٧٨].

وفي موضع آخر يقول " *لاَ يَنْبَغِي أَنْ نَظُنَّ أَنَّ اللاَّهُوتَ شَبِيهٌ بِذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ حَجَرٍ نَقْشِ صِنَاعَةِ وَاخْتِرَاعِ إِنْسَانٍ* "[٧٩] وما يقوله هذا يعني الآتي: ليس فقط طبيعة اللاهوت تتجاوز الأشكال المرئية إنما أيضا لا يمكن للذهن البشري أن يعبر عنها، أي أن يقول مَنْ هو الله تحديدًا، فكيف إذن يمكن أن يكون لله ذو شكل بشري في الوقت الذي يقول فيه بولس أنه لا يوجد عقل بشري يقدر أن يعبر عن جوهر

---

[٧٧] تك٣: ١٦

[٧٨] فيما يخص رفض فكرة أن الله له صورة بشرية أنظر المقدمة ص٢٨و ٢٩.

[٧٩] اع ١٧: ٢٩

الله؟ لان هيئتنا وشكلنا كلنا سوف نستطيع بسهولة أن نعبر عنه بأفكارنا الخاصة.

خاتمة عن أهمية الفضيلة بجوار الإيمان.

مرة أخري أود أن أحدثكم الآن عن عمل الرحمة غير أن الوقت لا يسعفنا لذلك سوف أقطع حديثي طالما سأعطيكم الإرشاد التالي وهو أن تحفظوا في ذاكرتكم بدقة كل ما قيل وأن تظهروا اهتماماً كبيرًا للطريقة المستقيمة للحياة كي لا يكون اجتماعنا هنا بلا هدف أو فائدة. لأنه إن حفظنا الإيمان المستقيم وفي نفس الوقت ليست هناك فضيلة في أعمالنا فبلا شك سنُحرم مِن الحياة الأبدية. فإنه يقول " *لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَارَبُّ، يَارَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ* "[٨٠]

فلنصنع إرادة الله بغيرة عظيمة وعزيمة حتى نستطيع أن ندخل السماوات ونفوز بالخيرات المحفوظة لأولئك الذين يحبون الله التي نتمني أن نظفر بها كلنا، بالنعمة ومحبة البشر التي لربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب والروح القدس المجد والقوة والكرامة، الآن وكل أوان والى دهر الدهور آمين.

---

[٨٠] مت ٧:٢١

العظة الثالثة

عن معني عبارة "كشبهه" ولأي سبب يقول الله "ولنتسلط على الوحوش" على الرغم من أننا (في الواقع) لا نتسلط عليها. موضحًا أن هذا مثالاً لعنايته الله الفائقة.

حث على الانتباه لكلمة الوعظ.

١- كما أن نثر البذور هكذا على قارعة الطريق لا طائل منه، كذلك أيضا الواعظ لن يجني أي شيء، عندما لا تصل الكلمة إلى أذهان السامعين، إذ أنه بعد أن يتبدد رنين الصوت في الهواء يترك المستمعين بلا فائدة. هذا لا أقوله لكم اعتباطاً، ولكن كي لا تظهروا انتباهكم فقط للمعاني البسيطة بل لتنتبهوا باهتمام للمعاني العميقة. لأنه إن لم نغوص الآن (في أيام الصوم الأربعيني) إلى عمق معاني الكتاب، فمتي إذن سوف نغوص (نتعمق)؟ هل عندما تكون أعضائنا خفيفة للسباحة وأبصارنا حادة ولم يعد يُعيقها تيار الملذات الشرير، وروحنا قادرة على مقاومة الاختناق (كما في أيام الصوم هذه)؟ أم عندما نكون في أوقات ترف وولائم وسكر ومائدة ممتلئة من المأكولات المتعددة؟ ولكن حينذاك لا يكون من السهل أن نتحرك حيث ثقل حِمْل الملذات يضغط على النفس ضغطًا شديدًا جدًا.

ألا ترون أن أولئك الذين يريدون أن يعثروا على الأحجار الكريمة، لا يجدون ما يريدون وهم جالسين على ساحل الشاطئ يعدون أمواج

البحر، بل ذلك الذي يغطس في أعماق البحر، وعلى الرغم من أن هدف البحث عظيم فإن الخطر الداهم أيضا جسيم، ولا يوجد أي فائدة من العثور على هذه الأحجار؟ لأنه أي أهمية يقدمها لحياتنا العثور على الأحجار الكريمة! وياليتها لا تسبب لنا شرًا عظيمًا، لأن ما يقلب حياتنا رأسًا على عقب ليس شيئًا آخر سوى الهوس بالمال، فأولئك يضعون أنفسهم وأجسادهم في مواجهة الأخطار وغير مبالين بالأمواج لأجل الطعام البائد، أما هنا فلا أخطار أو ألم ولا عناء شديد مثل هذا إنما تعبًا قليلاً وخفيفًا، وهذا لأجل الحفاظ على الأشياء المكتسبة، لأن الأشياء التي تكتسب بسهولة يظن الكثيرون أنها جديرة بالازدراء، فلا توجد أمواج مضطربة في بحر الكتب المقدسة، بل إن هذا البحر هو الأكثر هدوءً من أي ميناء آخر، فلا يحتاج المرء أن ينزل إلى هوة ظلام الهاوية، ولا أن يثق في خلاص جسده من عاصفة المياه العاتية، ولكن النور هنا شديد جدًا وأكثر اشراقًا من أشعة الشمس ذاتها، والصفاء خالٍ من أي اضطراب، والفائدة من هذا الاكتشاف عظيمة للغاية، بحيث لا يمكن وصفها بالكلام، فدعونا إذن ألا نقف بل نستمر في البحث.

خلق الانسان على صورة الله بمعني ترويض رغبات النفس.

سمعتم أن الله خلق الانسان "على صورة الله" فماذا يعني إذن القول "*على صورته وعلى شبهه*" وهذا لا يعني – كما قلنا– أنه لا يوجد فرق بينهما من جهة الجوهر إنما التشابه هو من جهة السيادة والسلطة

فتعبير "كشبهه" تعني أن يكون متحضرًا ولطيفًا وقادرًا على التشبه بالله على أساس الفضيلة كما يقول المسيح: كونوا مشابهين أبي الذي في السماوات[٨١]، لأنه كما في الأرض هذا الاتساع والرحابة حيث توجد الحيوانات العجماء وأيضا المتوحشة، هكذا في ساحة نفوسنا بعض أفكارنا خالية من الفهم، ومتوحشة وأخرى بهيمية وأخرى أكثر شراسة ومن ثم يجب السيطرة والانتصار عليها وتسليم سلطتها إلى منطق العقل.

وقد تقول، كيف يمكن للمرء أن يُخضِع فكرًا متوحشًا؟ فماذا تقول أيها الإنسان؟ فالأسود نخضعها ونفوسها نروضها وتشك بعد ذلك في أنك تقدر أن تغير وتروض وحشية الأفكار؟ فبالرغم من أن التوحش هو من طبيعة الأسود فإن الترويض هو عمل غير طبيعي، ولكن بالنسبة لك فالأمر على النقيض، فذاك الذي يستطيع أن ينزع من نفس الوحش ما يملكه بطبيعته (من توحش) ويضع مكانها ما هو غير طبيعي بالنسبة له (من استأنس)، أفلا يستطيع أن يحتفظ في داخل نفسه بما يملكه بالطبيعة؟ وكم سيكون هذا (التراخي) مثالاً للامبالاة؟ وفي حالة نفوس الأسود يوجد معها صعاب أخرى، لأن نفس الوحش غير عاقلة، ولكن لعلكم قد رأيتم كثيرًا أسود مستأنسة ومُساقة من

[٨١] أنظر مت ٥: ٤٥

الخرفان في الساحات العامة[82]، وفي أماكن تواجد أمثال تلك الحيوانات المستأنسة يعطون أموالاً لأولئك الذين يملكوها، كمكافأة على مثل ذلك الفن والمهارة في ترويض الوُحوش. ولكن بالنسبة لنفسك أنت فهي تتمتع بالعقل ومخافة الله، والمساعدة من الآخرين حيثما كُنت، فلا تقدم إذن الحجج والأعذار لأنك تستطيع إن أردت أن تروض نفسك وتكون وديعا!

سلطان الإنسان على الوحوش[83].

٢- "فلنخلق الانسان على صورتنا وكشبهنا وأن يتسلط على الوحوش" هنا يهاجمنا اليونانيين[84] قائلين: "هذا القول غير صحيح، لأننا لا نتسلط على الوحوش بل في الحقيقة هي التي تتسلط علينا، و يسببون لنا عناءً شديدًا"، في الحقيقة هذا القول عار من الصحة لأنه يكفي فقط الحضور البشري حتى تسرع الوحوش باحثة عن ملجأ لها، لأننا نسبب لها خوفًا كبيرًا، غير أنه من الممكن في بعض الأحيان أن تهاجم الإنسان بشكل قسري بسبب الجوع، لأننا نحن أنفسنا نجعلها في موقف صعب عندما نصطادها بشكل وحشي وهذا لا يمكن أبدًا أن

---

[82] الكلمة اليونانية: ἀγορά وتعني السوق، وتلك الأسواق كانت تستخدم كساحات عامة للخطابة.

[83] يهتم القديس أوغسطينوس بأن يعرض رأي القديس يوحنا ذهبي الفم عن سلطان آدم على الوحوش قبل السقوط، وذلك في إحدى كتاباته ضد بدعة بيلاجيوس. أنظر المقدمة ص١٩.

[84] المقصود الوثنيين.

يشكل سيطرتها الكاملة علينا، ولا حتى أن أحدًا منا يرى لصوصًا يأتون لمواجهتنا مسلحين ونأخذ موقف الدفاع معتبرًا فعله هذا سلطة، ولكنه في الحقيقة يشكل عناية كبيرة لأجل النجاة. لكنني لا أستخدم تلك الأعذار ولكن شيئًا أخرًا مفيدًا لكم أن تسمعوه، أتخافون الوحوش وهي ترعبنا وقد فقدنا سلطاننا عليها فلا أجادل في ذلك، وأنا أقر بذلك، ولكن ذلك لا يعني أن ناموس الله كاذب.

تسمية آدم للحيوانات دليل على خضوعها له.

في الحقيقة، في البدء لم يكن الأمر كذلك، بل أنها (أي الوحوش) كانت تخاف وترتعب وتنصاع للإنسان، كما لو كان سيدها، ولكن بسبب أننا فقدنا الشجاعة[85] والكرامة، لذلك صرنا نخشى الوحوش، فما هي علامة صحة قولنا هذا؟ من قول الكتاب "*وساق الله الوحوش أمام آدم حتى يرى أي أسماء يعطيها*"[86] لم يهرب آدم مرتعدًا من شدة الخوف، بل أعطاهم أسماء كما لو كانوا عبيدًا خاضعين له، هذه هي علامة سلطته عليها، وذلك لأن الله أراد بهذا الأمر أن يُظهر في آدم مظاهر سلطته، فأوعز إليه أن يدعوها بأسماءٍ فظلت هذه الأسماء الممنوحة من قِبَلِه هي أسمائها، لأنه يقول: " *وَكُل مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ*

---

[85] الكلمة اليونانية: παρρησία وهي تعني الثقة والجراءة، ولها معاني متعددة وقد استخدم القديس يوحنا هذا التعبير أكثر من ٥٠٠ مرة في كتاباته.

[86] تك ٢:١٩

نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا."[87] وهذا إذن هو الدليل الأول على أن الوحوش لم تكون مخيفة للإنسان منذ البدء.

حديث حواء مع الحية هو دليل آخر

والدليل الثاني هو حديث المرأة مع الحية[88]. في الحقيقة، لو كانت الوحوش مخيفة للبشر، ما كان من الممكن أن تظل المرأة متطلعة في الحية، بل كانت ستهرب، فما كان من الممكن أن تقبل النصيحة، وما كان من الممكن أن تتحدث معها بهذا القدر من عدم الخوف، بل حالاً للتو حين تراها سوف يتملكها الخوف من الرهبة وسوف تفر هاربة، غير أنها حينذاك كانت تحدثها وهي غير خائفة لأنه لم يكن قد وُجِد بعد مثل هذا الخوف.

أثر الخطية على كرامة الإنسان وسلامه الداخلي.

ولكن لأن الخطية قد دخلت إلى الانسان فاختفت سمات الكرامة، وكما يحدث تمامًا مع العبيد، فأولئك الذين يتمتعون بكرامة عالية من قِبل سادتهم، يكونون مُخيفين بالنسبة للعبيد رفقائهم، وهكذا قد صار للإنسان، فعندما كان قائم في حضرة الله كان مخيفا للوحوش، **ولكن لأنه قد خالف وصية الله فقد صار مرتعدًا حتى لمَنْ هو أدنى منه من العبيد رفقائه**، فلو لم تكن الأمور قد صارت على هذا النحو، فلتظهر

---

[87] تك ٢:١٩

[88] أنظر تك ٣: ١–٥

لي إذن متي كانت الوحوش مخيفة للإنسان قبل الخطية؟ ولكنك لا تستطيع! **فبعد ذلك دخل الخوف للإنسان وهذا دليل على عناية الله، لأنه لو أن الانسان بعد أن عصى وكسر وصية الله بقى هكذا بلا تغير في الكرامة التي قد منحها له الله، فما كان من الممكن للإنسان أن ينهض هكذا بسهولة من سقوطه.**

عقوبة الله رحيمة ولفائدة الإنسان

لأنه عندما ينال البشر نفس الكرامة عندما يعصون وعندما لا يعصون فسوف يتمادون أكثر في الشر ولن يبتعدون بسهولة عن الشر، فإن كان الآن يوجد خوف وعقوبة وجحيم ومع ذلك لا يحتمل البشر أن يعيشوا بتعقل فما هي حالتهم إن كانوا لا يعانون بسبب الشر الذي يرتكبونه؟ وهكذا فإنه من الجلي للغاية أن الله قد حرمنا من السلطة اعتناءً ورعايةً بنا.

فأرجوك أيضا أن تتأمل فإن محبته للبشر غير الموصوفة، لأن آدم كسر الوصية وخالف الناموس ولكن الله لم يجرده من كل كرامة ولم يحرمه من كل سلطته، إذ سِمح فقط لبعض الحيوانات أن تصير خارج سلطته، تلك الحيوانات التي لا تمثل احتياجًا حقيقيًا لحياته، بينما الحيوانات الأخرى الضرورية والمفيدة التي تمثل احتياجًا لحياتنا، أي الحيوانات التي تقدم لنا خدمات في معيشتنا فقد تركها تحت سيطرتنا، مثل قطعان الماشية التي نحرث ونجهز بها الأرض، حتى ننثر البذور،

وترك لنا أنواع من الدواب حتى تساعدنا في نقل الأثقال، والأغنام حتى يكون عندنا وفرة من الأغطية لأجل الملبس، وأنواع أخرى من الحيوانات يقدمون لنا خدمات أخري كثيرة، لأنه قد عاقب الانسان قائلاً: "*بعرق جبينك تأكل خبزك*"[٨٩]، ولكي لا يكون عرقنا وجهدنا وتعبنا هذا فوق الاحتمال بل يخفف الأثقال بمشاركة الحيوانات العجماوات التي تساعدنا في أتعابنا ومشقاتنا، ومثل سيد رحيم ومحب للبشر يجلد عبده، غير أنه يمنحه بعد ذلك العلاج لأجزاء جسده المكلومة، هكذا الله أيضا لأنه أدان الإنسان فبكل وسيلة يريد أن يجعل هذه الإدانة خفيفة ومحتملة، إذ عاقبنا بعرق (الجبين) والمشقة الدائمين، فقد أعطانا كل أنواع الحيوانات العجماوات كي تساعدنا في أتعابنا.

لأجل كل هذا نشكر الله، لأنه لو فحص المرء الأمر لعرف كيف أن الله قد أعطانا الكرامة ونزعها منها مرة أخرى، وأنه وضع فينا الخوف من الوحوش وكذلك كل الأمور الأخرى، وأنه سوف يرى أن كل ذلك مملوء حكمة كثيرة وعناية ومحبة كبيرة للبشر، التي نتمنى كلنا أن ننالها على الدوام نحو مجد الله، الذي صنع كل ذلك، الذي له المجد إلى أبد الآبدين. أمين.

---

[٨٩] تك ٣: ١٩

العظة الرابعة

في أن الخطية قد أدخلت ثلاث أنواع من العبودية وعن أولئك الذين يسمعون بلا مبالاة، والذين لا يكرمون والديهم

الله يجزل بكرمه على الإنسان حتى قبل خلقه !

قد استمعتم البارحة، كيف أن الله خلق الانسان ملكًا ورئيسًا ومسيطرًا على الوحوش وكيف قد أُبعد مباشرةً عن تلك المملكة، فالإنسان بالأحرى وليس الله هو الذي حرم ذاته من الكرامة بعصيانه، لأن نوال ملكوت الله، يرجع بالأساس إلى محبة الله للبشر، إذ أن الله لم يهبه هذه المحبة كمكافأة عن إنجازاته، بل إنه قبل أن يخلقه قد زينه بهذه الكرامة، كي لا تقول بأنه بعد صيرورة الإنسان قد منحه هبات كثيرة، وهكذا بتلك الهبات نال من الله القدرة على السيطرة على الوحوش، ففي اللحظة التي عزم الله فيها على خلقه تحدث عن سلطانه قائلاً *لنخلق الانسان على صورتنا وكشبهنا، وأن يتسلط على وحوش الأرض*"[٩٠] فقبل أن يهبه الحياة منحه السلطة، قبل الخلق كان الإكليل، قبل الصيرورة أُقتيِد إلى العرش الملوكي.

فعادة يُكرَم البشر اخواتهم في الإنسانية بعد أن يصلوا لدرجة من الكهولة، بعد أن يكابدوا العناء الشديد والأخطار التي لا حصر لها، سواء في فترة السلم أو الحرب، ولكن الله لا يعاملنا هكذا، بل حالاً

---

[٩٠] تك ١:٢٦

بمجرد أن خُلِق الإنسان، قاده إلى تلك الكرامة، حتى يظهر أن ما حدث ليس مكافأة لإنجازات قام بها الإنسان ولكن بسبب النعمة الإلهية وليس إلزامًا، فما حدث من نواله للسلطة هو نتيجة محبة الله للبشر إذ أن سقوطه من السلطة لم يأت من عدم اعتناء الله، لأنه كما أن الملوك يستبعدون من السلطة أولئك الذين لا ينصعون لأوامرهم، هكذا فعل الله مع الإنسان، إذ أعفاه من السلطة.

الخطية تحرم الأنسان من النعم الإلهية وتجعله عبدًا لا سيدًا.

غير أنه من الضروري أن نتحدث اليوم عن كم من كرامة أخرى قد حُرِم منها الإنسان بسبب الخطية، وكم نوع من العبودية قد أدخلتها الخطية وكبلت طبيعتنا، كمثل طاغية قد كبلتنا بكل أنواع القيود، وبكل أنواع السيطرة.

النوع الأول من العبودية: سيادة الرجل على المرأة.

فيوجد إذن سلطة وعبودية أولى[٩١] التي فيها يتسلط الرجال على النساء، وذلك لأن هذه السيادة صارت حتمية بعد الخطية[٩٢].

---

[٩١] أي عبودية من الدرجة الأولى، حيث يري القديس يوحنا أن خضوع المرأة للرجل نتج من السقوط ويُعد بمثابة نوع من العبودية وإن كانت أخف أنواع العبودية.

[٩٢] نستنتج هنا أن الخطية هي التي أوجدت هذا التمييز الحادث بين الرجل والمرأة، بينما قبل السقوط كانت المساواة بينهما هي السائدة. أنظر المقدمة ص ٣١.

الوضع الطبيعي للمرأة قبل الخطية: أنها مساوية للرجل

فقبل الخطية كانت المرأة مساوية للرجل، لأنه عندما خلقها الله، فإن ذات الكلمات التي قد نطق بها الله عند خلقة الانسان هي عينها التي استخدمها عند خلقة المرأة، إذ قال عند خلقته *"نعمل الانسان على صورتنا وكشبهنا"*[٩٣] ولم يقل "ليكن الانسان" وكذلك فلم يقل "لتكن المرأة" بل قال *"نعمل المرأة معينا له"*[٩٤] وليس فقط معينًا بل قال ونظيرًا له حتى يظهر مجددًا المساواة، لأنه حين جعل كثير من مشاركة الحيوانات غير العاقلة في خدمة احتياجات حياتنا، وحتى لا تظن أن المرأة تنتمي للعبيد، فأنتبه كيف ميز تمييزًا واضحًا عندما قال: قاد الحيوانات أمام آدم ولم يجد معينًا له يكون نظير له[٩٥] فماذا إذن؟ هل الخيل ليست معينا لآدم ألا تصطف للدفاع معه في الحروب، والثيران ألا تقدم لنا العون في جر المحراث وتشاركنا المعاناة في بذر البذور؟ والحمير والبغال أيضا أليست معينا لنا يساعدنا في نقل الأحمال؟ لذلك حتى لا تدعي ذلك (أنه لم يميز بين معونة المرأة للرجل ومعونة الحيوانات له) بل قد ميز بكل دقة، لأنه لم يقل فقط "لم يجد معينًا له" بل "لم يجد معينًا نظيراً له" وهكذا فانه هنا لم يقل فقط "فلنعمل معينًا له" بل قال فلنعمل معيناً نظيراً له"

---

[٩٣] تك ١: ٢٦

[٩٤] تك ٢: ١٨

[٩٥] أنظر تك ٢: ١٩، ٢٠

- **وضع المرأة بعد الخطية : سيادة الرجل عليها**

فهذا ما قاله قبل الخطية، أما بعد الخطية فقال *"وعلى رَجُلِكِ يَكُونُ اعتمادك وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ"*[96] وكأنه يقول لها "خلقتك مساوية له، ولكنك فلم تحسني صنيعا بالرئاسة، فلتذهبي إذن للخضوع، لم تبالي بالحرية فحكم عليكِ بالعبودية، لقد أخفقتِ في (ممارسة) السيادة، وقد أظهرت الأحداث ذاتها هذا الأمر، فلتصيري واحدة من المتسلط عليها وليكن رَجُلك سيداً عليكِ. "فلتعتمدي على رَجُلك وهو يكون سيداً عليكِ" ففي البداية ذكر تعبير يعني الوصاية قائلاً: *"وعلى رَجُلِكِ يَكُونُ اعتمادك"* أي أن ذاك الرجل سوف يكون ملجئكِ وميناءكِ وفي المصائب التي تلحق بكِ سوف أجعلكِ تلجئين إليه وتحتمين به، وليس بهذه الطريقة فقط بل أيضا في الاحتياجات الطبيعية تقيدتِ بالرجال كمثل قيد غير قابل للكسر محاطة بهم بسلسلة من الشهوة. أرأيتِ إذن كيف جلبت الخطية عليكِ من خضوع؟ وكيف أن الله الرحوم والحكيم قد حولها إلى فائدتنا؟

أنصت لبولس كيف يتحدث عن هذا الخضوع حتى تتعلم مجددًا التوافق بين العهد القديم والعهد الجديد، إذ يقول الرسول *"أما عن المرأة*

---

[96] تك ٣: ١٦، وبحسب نص العبري: " *وَإِلَي رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ*" أما الترجمة السبعينية التي استخدمها القديس يوحنا: "ونحو رجلك يكون رجوعك (إليه) " πρὸς τὸν ἄνδρα σου والمقصود "ملجئك أو اعتمادك عليه" ἡ ἀποστροφή σου

فلتتعلم في هدوء بكل خضوع"[٩٧] أرأيت خضوع المرأة للرجل ولكن أنتظر! وسوف تسمع السبب! لماذا قال "بكل خضوع"؟ لأنه يقول "لا يسمح للمرأة أن تُعلم"[٩٨] ولكن لماذا؟ لأنها قد علمت آدم مرة بشكل سيئ، ولماذا يقول أيضا " *ولا أن تتسلط على الرجل*" لأنها قد مارست السلطة عليه مرة واحدة وبشكل سيئ، ويقول أيضا "ولكن لتصمت" ويذكر السبب لأن *"آدم لم يُغوى بل المرأة هي التي غويت وخالفت الوصية"* لذلك انزلها عن كرسي التعليم لأنه يقول "مَنْ لا يعرف أن يُعلم فليتعلم" ولكن إن أتى ذاك لا ليتعلم بل ليُعلم فسوف يُضل نفسه ومن يتعلم على يده أيضًا، الأمر الذي قد حدث في حالة المرأة، إذ أنها قد خضعت إلى رجلها وقد خضعت بسبب الخطية، فأريد أيضا أن تسمعوا (قول الكتاب): *"وعلى رَجُلِكِ يَكُونُ اعتمادك وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ"*.

أريد أن أخبركم عما قاله بولس وعن تلك الوصية إذ خلط السلطة بالمحبة[٩٩]، فأين يا تُرى فعل ذلك؟ حين يكتب إلى أهل كورنثوس[١٠٠] " *أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ* " وأن يكون "الرجال ملجئهن" " *وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَلْتَهَبْ رَجُلَهَا."*[١٠١] و"أنه سوف يكون سيدك" أرأيت كيف أن هذه السيادة

---

[٩٧] اتي ٢: ١١

[٩٨] انظر تي ٢: ١٢

[٩٩] هنا المحبة هي التي صنعت التوازن والمساواة بين الرجل والمرأة في المسيح كما يشرح لنا الرسول بولس.

[١٠٠] في الحقيقة الاقتباس هو من رسالة أفسس وليس كورنثوس، أنظر أف ٥ : ٢٥

[١٠١] أف ٥: ٣٣

رقيقة طالما يعشق السيد بهوس أَمَتِه[١٠٢]؟، عندما يرافق المخافة بالحب؟ لأنه هكذا اختفى ثقل العبودية. فقد تسبب العصيان في دخول التسلط والسيادة، ولعلك تلاحظ أن الله قد نظم كل شيء بهذه الطريقة باستقامة، غير أن الخطية قد تسببت في ظهور العبودية ذاتها.

النوع الثاني من العبودية: نظام العبيد بين الناس كمثال حام.

ويوجد نوع ثان من العبودية، أكثر ثقلاً من سابقه، وهذا له أصل من الخطية، فبعد الطوفان في عهد نوح ودمار كل المسكونة، وكمال ذاك الطوفان، أخطأ حام إلى أبيه إذ نظر إليه وهو عاريًا، وبالأكثر فقد عراه عندما أدانه أمام أخوته[١٠٣]، وبسبب ذلك صار عبدًا لأخواته، لأن سوء التصرف قد دمر حياء الطبيعة، وعلى وجه الصحة فإن الكتاب المقدس قد برر كثيرًا هذا البار (نوح)، وبالحري بكلمة تبرره وتعطيه غفران، إذ يقول الكتاب " *وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا* "[١٠٤]، والقول "ابتدأ" هذا يمثل تبرير كبير لسكره، لأنه لم يكون يعرف كمية الخمر التي يجب أن يشرب، ولا كيف يجب أن يشرب، سواء نقية أو ممزوجة بالماء، ولا متي يشرب، فلتو قد عرف الخمر من عصير العنب وبعد وقت قصير من زمانه. فالكتاب المقدس يبرر بذلك نوح أما ذاك الذي

---

[١٠٢] المقصود هنا زوجته التي صارت في نظر القديس ذهبي الفم في مرتبة أقل من السيدة الحرة بعد الخطية.

[١٠٣] أنظر تك ٩: ٢٥

[١٠٤] أنظر تك ٩: ٢٠

ولد منه (أي حام) ، وقد نجا بسببه، -لأنه بسبب كرامة والده لم يهلك مع بقية البشر في الطوفان- فلم ينظر لما حدث للطبيعة ذاتها وقتذاك، ولم يستدعي إلى ذاكرته نجاته (في الفلك)، وبدون أن يتعقل من الخوف (بسبب هول الطوفان)، ناظرًا إلى بقايا آثار غضب الله التي لم تزل موجودة، وآثار المصائب ظاهرة، أو الخوف مما قد حدث أن يعود للظهور في أعتى صوره، وهكذا تصرف بشكل مهين تجاه والده، ولذا فإن أحد الحكماء يقول عن هذا الأمر قائلاً: *"لا تحاول أن تقتني مجداً جالباً العار على أبيك، لان ما يجلب العار على أبيك ليس مجداً لك"*[١٠٥] ولكن ولا حتى هذه الحكمة قد عرفها ذاك، ولكنه ارتكب خطية أكبر من أي تبرير أو اعتذار، لذلك عوقب بالعبودية بسبب خطيته هذه، وصار عبداً لإخوانه، والسيادة التي كانت له بالطبيعة، قد فقدها بسوء نيته، وهذا هو النوع الثاني من العبودية.

النوع الثالث من العبودية: العبودية للرؤساء والسلاطين وهي الأسواء على الإطلاق !

هل تريد أن تعرف النوع الثالث من العبودية؟ فهي الأثقل من النوعين السابقين ومخيفة جداً، لأنه بسبب ذاك الذي لم يتعقل قد أمد الله ربط العبودية إلينا، فأي نوع من العبودية هذه يا تُرى؟ هي العبودية للرؤساء والسلاطين، وهي ليست مثل تلك التي للمرأة أو تلك التي

---

[١٠٥] يشوع بن سيراخ ٣: ١٠

للعبيد، بل مخيفة أكثر، لأنه من الممكن أن يرى المرء السيف الحاد في كل مكان، والجلادين، والجحيم، والتعذيب، والعقوبات، والتسلط حتى الموت أو الحياة، وهذا النوع من العبودية قد حتم ظهوره الخطية، فاسمع أيضا بولس يتكلم بحكمة عن هذا النوع من العبودية قائلاً " *أَفَتُرِيدُ أَنْ لاَ تَخَافَ السُّلْطَانَ؟ افْعَلِ الصَّلاَحَ*"وقال أيضاً "*وَلكِنْ إِنْ فَعَلْتَ الشَّرَّ فَخَفْ، لأَنَّهُ لاَ يَحْمِلُ السَّيْفَ عَبَثًا*"[١٠٦]

- **ضرورة وجود حكام.**

ترى إذن أنه يوجد رؤساء وسيوف لأولئك الذين يرتكبون الشر، فاسمع إذن هذا القول الواضح: "*مُنْتَقِمٌ لِلْغَضَبِ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُ الشَّرَّ.*"[١٠٧] ولم يقل: "أنه ليس عبثًا رئيسًا" بل يقول، " *لأَنَّهُ لاَ يَحْمِلُ السَّيْفَ عَبَثاً*"[١٠٨] إذ أقام لك قاضٍ معززًا بقوة السيف، لأنه مثل أب حنون، له أبناء شتى، لا يكترثون به، فإنه بسبب حنوه، ولأجل صالحه، يسلمهم لمعلمين صارمين. هكذا الله أيضا فطبيعتنا التي لم تكترث به قد أسلمها – بسبب صلاحه – إلى الرؤساء (لتأديبنا) كمثل معلمين ومربيين، حتى يردوا الناس مرة أخرى عن إهمالهم. ولكن إن أردت فلنوضح ذلك من العهد القديم أيضًا، لأنه بسبب شرورنا فقد استخدم الله هذا السلطان، فأحد الأنبياء الغاضبين من الأشرار يقول الآتي:

---

[١٠٦] رو ١٣: ٣و٤

[١٠٧] رو ١٣: ٤

[١٠٨] رو ١٣: ٤

"*سوف تتغاض عن الشرير الذي يبلع البار وسوف تجعل الناس مثل سمك البحر ومثل الزواحف لا رئيس لها*."[١٠٩] ولهذا السبب فيوجد رئيس حتى لا نكون مثل الزواحف، ولذلك يوجد رئيس حتى لا نأكل بعضنا البعض مثل السمك، لأنه كما أن الأدوية قد وُجدت لأجل كل داء هكذا العقوبات[١١٠] وُجدت بسبب الخطايا، لأنه بكل تأكيد ذاك الذي يعيش حياة الفضيلة ليس بحاجة إلى تقويم، فاسمع ما يقوله بولس "*أَفَتُرِيدُ أَنْ لاَ تَخَافَ السُّلْطَانَ؟*[١١١] *افْعَلِ الصَّلاَحَ*"[١١٢] فيقول "أن من يشاهد (كي يرى أفعالك) هو القاضي، فإن كنت تحيا باستقامة فلن يراك القاضي فحسب بل سوف يمدحك أيضًا"، فلماذا أذكر ضرورة وجود الحكام؟ فهل أولئك الذين يسعون للعيش بالتقوى هل هم أفضل حالاً من الأخرين الأعظم منهم؟! لأن رؤساء الرؤساء هم الشرائع، ولا حتى ذلك الذي يحيا بالوداعة يحتاج النواميس، وهذا فلتسمعه من بولس إذ يقول: "*أَنَّ النَّامُوسَ لَمْ يُوضَعْ لِلْبَارِّ*"[١١٣] فإن كان الناموس لم يوضع لأجل الصديق، فكم بأولى ألا يكون هناك احتياج للرؤساء

---

[١٠٩] حبقوق ١: ١٣و١٤ حسب الترجمة السبعينية.

[١١٠] المفهوم الحقيقي للعقوبات هي أنها مثل الأدوية وليست مجرد أعمال انتقامية من جانب الله بل تحمل ملامح تربوية وعلاجية لأمراضنا التي تصيب ذواتنا.

[١١١] المقصود بالسلطان هنا السلطة وليس شخص الملك السلطان حيث أن اللفظة اليونانية ليست صفة لشخص إنما هي اسم ἐξουσία بمعني سلطة أو سيادة.

[١١٢] رو ١٣: ٣

[١١٣] ١ تي ١، ٩

(لأجل البشر العاديين).

وهذا هو ثالث نوع من التسلط الذي قد ظهر للوجود بسبب الخطية والشر.

٣- فكيف إذن يقول بولس "*لأَنَّهُ لَيسَ سُلْطَانٌ إِلاَّ مِنَ اللهِ*" ؟[١١٤] لأن الله هو الذي أنشاء ذلك السلطان لأجل فائدتنا. لأن الخطية هي التي أدخلت إلى العالم الحاجة إليه، ولكن الله قد جعله لأجل فائدتنا، فكم أن الحاجة للدواء قد أوجدتها الجراحات، غير أن جُرعة الدواء تعتمد على حِكمة الأطباء، **كذلك فإن الحاجة للعبودية قد سببته الخطية، غير أن تنظيمها على النحو الواجب يعتمد على حِكمة الله.**

تشتت المستمعين لمتابعتهم عامل يشعل مصابيح الكنيسة!

ولكن فلتنتبهوا، وتطرحوا جانبا اللامبالاة، ولماذا أقول ذلك؟ أحدثكم عن الكتاب المقدس، أما أنتم فتتشتت عيونكم عني إلى المصابيح لتتابعوا مَنْ يشعل نور المصابيح، فيالها من لا مبالاة هذه أن تتركوني وتراقبوه!، فأنا أيضا أُشعِل النار من الكتب المقدسة، ومن لساني يشتعل مصباح التعاليم، وهذا النور أعظم وأفضل من ذاك النور، لأننا لا نشعل فتيلة مبللة بزيتٍ مثل ذاك الرجل، بل أننا ننير نفوسًا مرويةً بالتقوى، وبالرغبة في الاستماع. فذات مرة كان بولس يتحدث في عُليةٍ ما، ولا يظن أحد أني أقارن نفسي ببولس لأني لم أجن إلى هذا الحد،

---

[١١٤]. رو ١٣، ١٣

ولكن لتعرفوا كم الاستعداد الذي يجب أن تظهروه لأجل الاستماع للتعاليم. فقد كان بولس يتكلم في عُلِية ما وكان قد أمسى النهار مثل الآن تماماً، وكانت هناك مصابيح في العُلِية، ثم سقط إفتيخوس من الشباك[115] ومع ذلك لم يفض سقوطه اجتماعهم، ولا حتى موته جعل المستمعون يقفون، فقد كان كل اهتمامهم مُنصب إلى سماع التعاليم الإلهية، لدرجة أنهم لم يدروا حتى بسقوطه، أما أنتم لم تروا شيئًا عجبًا ولا أمراً غير عادياً بل شخصًا يتمم عملاً اعتياديًا، فحولتم نظركم تجاهه، فأي مبرر عن هذا الموقف يمكن أن يستحق؟ فلا يظن أحد أن هذا اللوم لا يحتمل، لأنني لا ألومكم بدافع الكراهية بل لأنني أهتم بكم. لأنها "*أَمِينَةٌ هِيَ جُرُوحُ الْمُحِبِّ، وَغَاشَّةٌ هِيَ قُبْلاَتُ الْعَدُوِّ.*"[116]

فمن فضلكم تيقظوا واتركوا هذه الأنوار وركزوا في نور الكتب الإلهية.

خاتمة عن اكرام الوالدين

لأني أريد أن أحدثكم عن شكل آخر من أشكال السلطة، والتي أصلها ليس من الخطية بل من طبيعتنا ذاتها. ما هي هذه السلطة؟ أنها سلطة الوالدين على أبنائهم، لأن هذا النوع من الكرامة يمثل مكافأة لهم لأجل تعبهم، لذلك يقول أحد الحكماء "*أخدم أولئك الذين أنجبوك*

---

[115] أنظر أع ٢٠: ٩-١٢

[116] أمثال ٢٧: ٨

كما لو كانوا سادتك"[117] ثم يعلل ذلك قائلاً " *لأنه ماذا يمكنك أن تقدم لهم عوضاً عما فعلوه لأجلك*"[118] فأي شيء يمكن للابن أن يقدمه من تعويض لوالديه؟ لا شيء آخر يعنيه سوى أن الوالدين هما الذين أنجبوكم أما أنت فلا تستطيع أن تولدهم. لذلك فإننا نشعر تجاههم بالصغر ومن جهة أخرى نزداد فخرًا بهم وهذا يشرفنا، ليس فقط بسبب ناموس الطبيعة، لأنه قبل الطبيعة خوفنا هو من الله، كما أن اللهِ يريد أن يكرم الوالدين بواسطة أبنائهم، وأولئك الذين يفعلون ذلك يكافئهم الله بوافر الخيرات والعطايا، بينما أولئك الذين ينتهكون ناموسه ينزل عليهم شديد عقابه من المصائب والشرور، إذ يقول " *وَمَنْ شَتَمَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلاً*."[119] أما عن أولئك الذين يكرمون أباهم وأمهم فيقول "أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ."[120] فالشيخوخة الصالحة وطول العمر كخير عظيم يعتبرا مكافأة لأولئك الذين يكرمون والديهم، بينما أسوء شر ألا وهو الموت المبكر، فهذا يعتبر جزاءً لأولئك الذين يزدرون بوالديهم.

فهؤلاء في محبة ينجذبون نحو والديهم (بدافع) وعد الكرامة، أما أولئك فبدون إرادتهم يبتعدون عن ازدراء والديهم خوفًا من العقوبة، لأنه

[117] سيراخ ٣: ٨

[118] سيراخ ٧: ٢٨

[119] خروج ٢١ : ١٧

[120] خروج ٢٠: ١٢

لم يطلب فقط بأن يعاقب بالموت من يعتدي على أبيه ولا هذا العقاب نتيجة قرار من المحكمة بعد أن يسوقه إلى الساحة خارج المدينة، ولا أن تُقطع رأسه خارج المدينة، بل يسوقه والده بنفسه في وسط المدينة وبدون أي أدلة يكون قول أبيه مصدقًا وحقًا. لأن ذاك الأب الذي بذل ماله وقوته الجسدية وكل ما بوسعه لأجل ابنه، فإنه لا يتهمه أبدًا إلا إذا كان هذا الابن عاقًا بدرجة لا تحتمل. فإنه يقوده إلى وسط المدينة ثم يدعوا كل الشعب ويتلوا التهمة، وكل مَنْ يسمع يأخذ كل منهم حجر ويرجمون ذاك الذي أعتدى على أبيه، والمشرع لا يريد أن يكونوا مشاهدين لعقوبة الرجم بل أن يكونوا مشاركين في هذا العمل حيث يرى كل واحد في يمينه الحجر وهو يلقيها على رأس ذاك الذي اعتدى على أبيه، فيكون تذكير هام (عِبرة) لتقويمه، ليس هذا فقط بل أن المشرع يلمح لنا أن الذي يهين والديه لا يظلمهما فقط بل أنه يظلم كل البشر، لذلك فهو يدعو كل الناس حتى تشارك في عقابه كمن تعرضوا للإهانة ذاتها كلهم، ويجتمع كل الشعب في ذات المكان في المدينة، حتى يُعَلِم (يتعظ) الذين لا علاقة لهم بأولئك الذين يسيئون لوالديهم ولكي يسخطون من الإساءة للوالدين، حتى يدركوا أن الإهانة موجهة للطبيعة البشرية ذاتها، وأن ينبذوا مثل هذا الإنسان كمثل المرض المعدي أو الداء المنتشر ويطرده ليس فقط من المدينة بل من نور الحياة. لأن ذاك الإنسان مثل خصم وعدو مشترك لكل البشرية ولله وللطبيعة وللشرائع ولحياتنا أجمعين، لذلك فهو يأمر كل فرد أن يشارك في

المذبحة (عملية الرجم) كمن يقوم بتطهير المدينة.

أتمنى أن تكون الفوائد التي حصلتم عليها كثيرة، لأنكم قبلتم بكل سرور حديثي عن أولئك الذين يسيئون إلى والديهم، فأطردوهم ليس بالحجارة بل بأصواتكم، لأنه من الواضح أن كل واحد منكم قد أظهر لأبيه مقدارًا وافرًا من المودة، وهكذا عادة نندهش من الشرائع التي تعاقب الخطاة عندما لا نشارك نحن في فعل الخطايا، لكل هذا فلنسر من محبة الله للبشر الذي يعتني بحياتنا، مظهراً عنايته بالوالدين، وأيضا يعتني بالأولاد وكل شيء يرتبه لأجل خلاصنا، الذي يليق به المجد والكرامة والسجود مع الأب غير المبتدئ والروح القدس والآن وكل أوان وإلى دهر الدهور. آمين.

العظة الخامسة

في أننا لا نُعَاقَب بسبب آدم وفي أن الصالحات أكبر من الصِعاب التي قد سببها لنا آدم إن كنا مدققين. وأيضًا يتحدث ضد أولئك الذين يحتقرون الفقراء.

تمهيد عن أهمية تقصي الكلمة بتدقيق.

١- ربما تظنون أننا قد أكملنا حديثنا بما يكفي عن السلطة، غير إنني أرى أنه يوجد كثير من الثمار في ذات الموضوع، لكن من فضلكم لا تضجروا حتى نجني كل الثمار. كما أن المحنكين من المزارعين عندما يرون الكرمة وقد أورقت بشكل كثيف وصارت محملة بالثمار فانهم لا يقطفون فقط عناقيد العنب الموجودة بالخارج بل يتقدمون نحو الأجزاء الداخلية ويحنون الأغصان ويثنون الأوراق حتى لا تهرب منهم أي عناقيد صغيرة مخبأة تحت الأوراق. فلا تبدوا إذن غير مبالين على خلاف هؤلاء، ولا أن ترحلوا قبل أن تنالوا كل شيء، لأن التعب فهو لي، وأما الثمر فهو لكم.

لماذا نُعَاقَب على ذنب آدم؟

بالأمس قد شكونا من النساء، وبالحري ليس كل النساء بل حواء، لأنها قد أدخلت العبودية بسبب الخطية، وربما تقول ليَّ النساء: "فلماذا إذن نُدان نحن طالما هي التي أخطأت؟" ولماذا يتسبب تعدي شخص واحد في إدانة كل الطبيعة (البشرية) بأكملها؟ وهذا عين ما يمكن أن

يدعيه أيضا العبيد: "لماذا إذن بالرغم من أن حام هو الذي أهان أبيه فإن نتائج العقوبة قد انتقلت إلى كل جنسنا؟" وكذلك أولئك الذين يخشون الرؤساء فأنهم أيضا ربما يدعون: "لماذا إذن بينما آخرين عاشوا في الشر فإن هؤلاء هم الذين سلموا إليّ نير الرئاسة؟" فبماذا يمكننا أن نرد على كل هؤلاء؟ غير أن إجابتنا سوف تكون واحد على كل هذه التساؤلات! وهي أنه **حقًا قد دخلت العبودية بواسطة الأولين بسبب عصيانهم غير أنه بعد دخولها بواسطتهم قد تسيدت هذه العبودية بواسطة اللاحقين عليهم بسبب خطاياهم الخاصة.** لأنهم إن كانوا قد استطاعوا أن يحفظوا أنفسهم من أي خطية، فإنه يمكن اعتبار اعتراضهم على حق، ولكن إن كانوا هم أنفسهم مسئولين عن كثير من العقوبات، فان كل تلك الحجج لا لزوم لها.

ارتباط الخطية بمختلف أنواع العبودية

أما من جهتي، فلم أقل أن الخطية لم تُسبب العبودية، بل أن كل خطية مرتبطة بالعبودية، وطبيعة الخطية فقط هي التي تسببها وليس نوعها، كمثل كل الأمراض العضال تؤدي للوفاة، ولكن ليس كل هذه الأمراض لها نفس الطبيعة. هكذا الخطايا، فكلها أنجبت العبودية ولكن ليس كلها من نفس الطبيعة. أخطأت حواء لأنها أكلت من ثمرة الشجرة المحرمة، وقد أدينت لذلك، لذلك فلا تخطيئي أنتِ أيضا لئلا تقبلي مع الخطية ما هو أسوء مما قبلته حواء. وهذا ما يجب أن نقوله أيضا بشأن العبيد وفيما يخص الرؤساء، إنه قد أدخل الأولون الخطية ولكن

اللاحقين عليهم إستمسكوا بقوة السلطة عليهم بسبب ما اقترفوه (من معاصي).

ويمكنني أن أقدم حجج أخرى، فكل الذين قد سلكوا في الفضيلة قد تحرروا من سيادة السلطة عليهم.

المرأة وحريتها

وإن تحدثنا أولاً عن النساء فإنك تجد أن بولس الذي قد أحاطهن بالقيود، فإنه عاد وبررهن من ذلك قائلاً " *وَالْمَرْأَةُ الَّتِي لَهَا رَجُلٌ غَيْرُ مُؤْمِنٍ، وَهُوَ يَرْتَضِي أَنْ يَسْكُنَ مَعَهَا، فَلاَ تَتْرُكْهُ.*"[١٢١] لماذا؟ "*لأَنَّهُ كَيْفَ تَعْلَمِينَ أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ، هَلْ تُخَلِّصِينَ الرَّجُلَ؟ أَوْ كَيْفَ تَعْلَمُ أَيُّهَا الرَّجُلُ، هَلْ تُخَلِّصُ الْمَرْأَةَ؟*"[١٢٢] ويقول كيف يمكن للمرأة أن تخلصه؟ بأن تُعَلِمه، وتعظه، وأن تقوده إلى كلمة التقوى. على الرغم من أنك قلت لنا البارحة أيها الطوباوي بولس " وَلكِنْ لَسْتُ آذَنُ لِلْمَرْأَةِ"[١٢٣] فكيف إذن تجعلها معلمًا للرجل، ولكني لا أطرح ذلك مناقضًا نفسي، بل أنني أتفق كثيرًا جدًا مع ما أقول، اسمع إذن، عن أي شيء قد أبعدها عن كرسي التعاليم ولأي سبب قد أعادها مجددًا إليه؟ كي تعرف حكمة بولس، لأنه يقول، فيُعلم الرجلُ، لماذا؟ لأنه لم يُغوى بل هكذا يقول "*آدم لَمْ*

---

[١٢١] ١ كو ٧: ١٣

[١٢٢] ١ كو ٧: ١٦

[١٢٣] ١ تي ٢: ١٢

يُغْوَ."[١٢٤] ويقول أيضاً *"لِتَتَعَلَّمِ الْمَرْأَةُ"*[١٢٥] لأنها قد غويت وهكذا يقول *"لكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعَدِّي."*[١٢٦] ولكن عندما يتحدث عن الرجل غير المؤمن بينما المرأة مؤمنة فإنه هنا يقول على النقيض فلتُعلم المرأةُ، لماذا؟ لأنها - في هذه الحالة - لم تُغوى بل إنها مؤمنة، فيتعلم إذن الرجل لأنه قد أغوى حيث أنه غير مؤمن، (وكأنه) يقول انعكس التعليم، فلينعكس إذن من له السيادة[١٢٧].

أرايت كيف أن العبودية في كل مكان ليست من نتاج الطبيعة بل الغواية والخطية، فقد أتت الغواية في البدء أولا على المرأة وتبع الغواية الخضوع، وبعد ذلك تحولت الغواية على الرجل وانتقل عليه بالتبعية الخضوع، ومثلما صار منذ البدء خلاص المرأة معهوداً للرجل، لأنه لم يغوى إذ يقول الآتي: *"وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اعتمادك وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ"*[١٢٨] وهكذا ففي هذه الحالة صارت المرأة المؤمنة تتعهد هي بخلاص الرجل غير المؤمن إذ يقول: " *لأَنَّهُ كَيْفَ تَعْلَمِينَ أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ، هَلْ تُخَلِّصِينَ الرَّجُلَ؟*"[١٢٩] فماذا يمكن أن يكون أكثر وضوحًا من هذا البرهان، بأن

[١٢٤] ١ تي ٢: ١٤

[١٢٥] ١ تي ٢: ١١

[١٢٦] ١ تي ٢: ١٤

[١٢٧] أي لقد حدث تبادل لعملية التعليم وبالتالي حدث تبادل أيضًا لوضع السيادة.

[١٢٨] تك ٣: ١٦

[١٢٩] ١كو ٧: ١٦

العبودية ليست من نتاج الطبيعة بل الخطية؟ وهذا ما يمكن قوله عن العبيد. "*دُعِيت وَأَنْتَ عَبْدٌ فَلاَ يَهُمَّكَ.*"[١٣٠] فأنظر كيف يظهر ثانياً أن العبودية مجرد اسم بدون أي أهمية عندما توجد فضيلة، " *بَلْ وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَصِيرَ حُرًّا فَاسْتَعْمِلْهَا بِالْحَرِيِّ.*"[١٣١] أي لتبقي في العبودية. لماذا؟ "*لأَنَّ مَنْ دُعِيَ فِي الرَّبِّ وَهُوَ عَبْدٌ، فَهُوَ عَتِيقُ الرَّبِّ. كَذلِكَ أَيْضًا الْحُرُّ الْمَدْعُوُّ هُوَ عَبْدٌ لِلْمَسِيحِ.*"[١٣٢] أترى كيف أن العبودية هنا مجرد اسم ولكن في الواقع هي حرية؟ فلأي سبب إذن تركك أن تصير عبدًا؟ حتى تعرف امتياز الحرية، لأنه كما في حالة الثلاث فتية فإنه بدلاً من أن يطفئ الأتون فقد كان الأكثر إثارة للدهشة أنه حفظهم بلا ضرر بينما النار مازالت مشتعلة، هكذا أيضاً فالأكثر إثارة للعجب أنه بدل من أن يلغي العبودية أظهر الحرية بينما في الواقع لم تزل العبودية قائمة.

الفتية الثلاثة كمثال للحرية

٢- هل تريد أن ترى نفس الأمر مع الرؤساء؟ فقد كان نبوخذنصر ملكاً وأوقد الأتون بلهب شديد، وألقى الثلاثة فتية في وسطه، وبينما كانوا شباب وهادئين، لم يكن لهم أي حماية إذ كانوا عبيداً ومسبيين، وكانوا يعيشون في وطن غريب. وماذا كان يقول لهم: "*(هل) تَعَمُّدًا يَا*

---

[١٣٠] اكو ٧: ٢١

[١٣١] اكو ٧: ٢١

[١٣٢] اكو ٧: ٢٢

شَدْرَخُ وَمِيشَخُ وَعَبْدَنَغُو لاَ تَعْبُدُونَ آلِهَتِي وَلاَ تَسْجُدُونَ لِتِمْثَالِ الذَّهَبِ الَّذِي نَصَبْتُ؟"[133] فبماذا أجابوا؟ ولكن لتنتبه كيف جعلتهم الفضيلة وهم مسبيين ملوكًا أكثر من الملك ذاته، وأظهرت مدي ارتفاع معنوياتهم، فلم يخاطبوه كمن يوجهوا حديثهم لملك بل كمن يحدثون مواطن عادي مثلهم، وهكذا بكل شجاعة قالوا: "*يَا نَبُوخَذْنَصَّرُ، لاَ يَلْزَمُنَا أَنْ نُجِيبَكَ عَنْ هذَا الأَمْرِ.*"[134] سوف نرد عليك ليس بالكلام بل بالفعل "*هُوَذَا يُوجَدُ إِلهُنَا الَّذِي نَعْبُدُهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَجِّيَنَا مِنْ أَتُّونِ النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ، وَأَنْ يُنْقِذَنَا مِنْ يَدِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ.*"[135] مذكرين إياه بإحسان الله مع دانيال، مرددين نفس كلمات النبي التي قالها آنذاك، فماذا قال ذاك؟ " «*السِّرُّ الَّذِي طَلَبَهُ الْمَلِكُ لاَ تَقْدِرُ الْحُكَمَاءُ وَلاَ السَّحَرَةُ وَلاَ الْمَجُوسُ وَلاَ الْمُنَجِّمُونَ عَلَى أَنْ يُبَيِّنُوهُ لِلْمَلِكِ .لكِنْ يُوجَدُ إِلهٌ فِي السَّمَاوَاتِ كَاشِفُ الأَسْرَارِ*"[136] هذه الكلمات قد ذكَّروه بها حتى يجعلوه أكثر تسامحاً، ثم أضافوا "*وَإِلاَّ فَلْيَكُنْ مَعْلُوماً لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّنَا لاَ نَعْبُدُ آلِهَتَكَ وَلاَ نَسْجُدُ لِتِمْثَالِ الذَّهَبِ الَّذِي نَصَبْتَهُ*"[137].

فلتنتبه لحكمة أولئك الفتيان، فإنهم لا ينسبون الضعف لله إذا حدث

---

[133] دا ٣: ١٤

[134] دا ٣: ١٦

[135] دا ٣: ١٧

[136] دا ٢: ٢٧

[137] دا ٣: ١٨

وماتوا طالما أنهم سيُلقَون في الأتون المتقد، فانهم سبقوا واعترفوا بقوته قائلين "*هُوَذَا يُوجَدُ إِلهُنَا الَّذِي نَعْبُدُهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَجِّيَنَا*" ولكي لا يُظن أنهم طالما سينجوا من النار يعبدون الله نظير مقابل أو أجرة، لذلك أضافوا "*ان لم يحدث هذا فاعلم ايها الْمَلِكُ أَنَّنَا لاَ نَعْبُدُ آلِهَتَكَ وَلاَ نَسْجُدُ لِتِمْثَالِ الذَّهَبِ الَّذِي نَصَبْتَهُ*"[١٣٨]. كارزين في نفس الوقت بقوة الله ومظهرين صلابة أنفسهم، كي لا يدعي أحدًا ما ادعاه الشيطان افتراءً على أيوب، فماذا قال الشيطان عن أيوب؟ : "*هَلْ مَجَّاناً يَتَّقِي أَيُّوبُ اللهَ؟ أَلَيْسَ أَنَّكَ سَيَّجْتَ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ وَحَوْلَ كُلِّ مَا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؟ بَارَكْتَ أَعْمَالَ يَدَيْهِ فَانْتَشَرَتْ مَوَاشِيهِ فِي الأَرْضِ!*"[١٣٩] فلكي لا يقدر أحدًا أن يدعي نفس الأمر فسبق الثلاث فتية وسدوا كل فم يتبجج. ولكن كما سبق وقلت، إن كان هناك أحدًا مسبيًا أو كان عبدًا أو غريبًا يعيش في بلد أجنبي ولكن تحيا معه الفضيلة فسوف يكون مَلِكًا أكثر من الملوك.

دانيال وبولس نموذجان لإخضاع الوحوش

أرأيت كيف أُبطلت عبودية النساء والعبيد والمرؤوسين؟ تعال إذن حتى أُريك كيف يبطل الخوف من الوحوش، **فقد ألقوا دانيال في الجُب في نفس مدينة بابل، ولكن لم تتجاسر الأسود أن تمسه، لأنها كانت**

---

[١٣٨] دا ٣: ١٨

[١٣٩] أي ١: ٩-١٠

تشاهد فيه الصورة الأصلية الملوكية تتلألأ بتلك السمات التي رأوها في آدم قبل الخطية. وتلك الأسود بنفس الخضوع كانت قد أتت إلى آدم وقبلت منه أسمائها. وليس في هذا الحدث فقط بل أيضا في حالة بولس لأنه عندما قذف به في جزيرة البربر، وكان جالسًا بجوار النار ليصطلي، قفز من وسط الأغصان الجافة أفعى ولدغت يده، فماذا حدث له؟ حالاً سقط الوحش (أي الأفعى)، لأنه لم توجد في (القديس بولس) خطية، فلم تستطيع أن تعضه، فمثلما نريد أن نتسلق مرتفع صخري ولا يوجد شيء نتشبث به فأننا نهوى ساقطين سواء كان أسفلنا محيط أو خليج، هكذا ذلك الوحش كان موجود تحته نار وحيث أنه لم يجد في (القديس بولس) خطية لم يقدر ولا حتى أن ينهشه بأسنانه فسقط في وسط النار وهلك.

ثلاث أنواع من البراهين

أتريد أن أخبرك عن نوع ثالث من البراهين، **فالبرهان الأول** هو أنه ليس فقط الأسلاف قد اخطأوا بل نسلهم أيضا، أما **البرهان الثاني** هو أولئك الذين نجحوا في تخفيف عبوديتهم مع أنهم يعيشون في الحياة الحاضرة أو بالحري نجحوا في أن يتحرروا نهائيا منها، كما قد اسلفنا الذكر كما في حالة النساء أو العبودية للرؤساء أو الوحوش.

نعمة المسيح تجعل الإنسان في حال أفضل مما كان قبل السقوط

النوع الثالث من البراهين هو أن الذي وعدنا بالمسيح الآتي قد

وعدنا الآن بخيرات أعظم، من تلك الخيرات التي حرمنا منها أولئك الذين أخطئوا، فقل لي ما الذي يجعلك تحزن وتتحسر؟ هل لأنِ خطية آدم قد أخرجتك من الفردوس؟ قدم أعمالاً صالحةً، ولتمارس الفضيلة بغيرة، عندئذ سوف أفتح لك ليس فقط الفردوس بل السماوات عينها ولن أتركك تعاني أي شر قد أتى عليك من مغبة معصية الأبوين الأولين.

أو هل تتحسر لأنك فقدت سلطتك على الوحوش؟ ها الشياطين تخضع لك أن كنت حريصاً، لأنه يقول: "*هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَاناً لِتَدُوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ وَلاَ يَضُرُّكُمْ شَيْءٌ.*"[١٤٠] فلم يقل لهم "تسلطوا" كما قال من جهة الوحوش بل يقول "دوسوا" مقدمًا السلطة في أعلى درجاتها، لذلك لم يقل بولس أن الله سوف يخضع الشيطان تحت أقدامنا بل "*سَيَسْحَقُ الشَّيْطَانَ تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ*"[١٤١] ولا حتى كما قال في السابق: "*هُوَ يَسْحَقُ رَاسَكِ وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ*"[١٤٢] بل إنه ظفر تام، ونخب النصر خالص[١٤٣] واضمحلال شامل للعدو، سحقاً ودماراً، فيا حواء يا من جعلكِ (العدو) تخضعين لرجلكِ، أما أنا فلم أجعلكِ فقط

---

[١٤٠] لو ١٠: ١٩

[١٤١] رو ١٦: ٢٠

[١٤٢] تك ٣: ١٥

[١٤٣] الكلمة اليونانية: τρόπαιον تعني نخب النصر أو نصب تذكاري لهزيمة العدو.

مساوية للرجل بل للملائكة أنفسهم إن أردتِ. لقد حرمكِ من الحياة الحاضرة لكن أنا أهبك الحياة الأخرى، الأبدية الخالدة، المملوءة من الخيرات التي لا تحصي.

٣- إذن لا يظن أحد أنه يتضرر بسبب (خطايا) الأولين، حيث أننا إن أردنا أن نفحص كل النعم التي وُهِبت لنا فإننا نجد أنها كثيرة وأعظم من تلك التي فقدناها. فمما تقدم صار جلياً ما تبقى، فقد أدخل آدم حياة الشقاء، أما المسيح وَعَد لنا بأن يمنحنا الحياة التي فيها يختفي التعب والحزن والتنهد، فقد وعدنا بانه سوف ينعم علينا بملكوت السماوات: " *تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيباً فَآوَيْتُمُونِي. عُرْيَاناً فَكَسَوْتُمُونِ ... مَحْبُوساً فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ.* "[١٤٤]

حديث عن عمل الخير مع الفقراء

فهل يا تُرى سوف نسمع ذلك الصوت الطوباوي؟ أما من جهتي فلا أستطيع أن أوكد ذلك بقوة، لأن إحتقارنا للفقراء شديد. إنه وقت الصوم، وقت تقدم فيه عظات كثيرة وكذلك تعاليم عن الخلاص، وصلوات مستمرة، واجتماعات يومية[١٤٥]، فما هي الفائدة من كل هذا الاهتمام

---

[١٤٤] مت ٢٥: ٣٤-٣٦

[١٤٥] إشارة إلى أن اجتماعاتهم كانت تُقام يوميًا في فترة الصوم الأربعيني. أنظر المقدمة ص ٢٠.

الشديد؟ لا شئ! لأننا نرتحل من هنا ونحن ننظر جموع الفقراء في صفوف على الجانبين وكأننا ننظر أعمدة وليس أجسادًا بشرية، ونعبر بجوارهم دون أدنى شفقة، وكأنهم تماثيل (جامدة) بلا حياة، وليسوا بشراً أحياء، ونهرول مسرعين للوصول إلى بيتنا.

ويبررون فعلهم هذا بأن الجوع هو الذي يجبرهم على ذلك (أي الارتحال سريعًا دون عمل الرحمة) ولكن في الحقيقة فإن جوعكم (بعد الاجتماع) كان يجب أن يدفعكم للبقاء (لعمل الرحمة مع الفقراء) – فكما يقال في الأمثال– إن البطون المتخمة لا تعرف البطون الجائعة ولكن تلك الجائعة فبسبب احتياجها تشعر أيضا بمثيلتها من البطون الخاوية للأخرين (من الفقراء)، ولكن على ما يبدو فأنه ولا حتى تلك البطون الجائعة تشعر بهم.

فإنك تجري هكذا إلى مائدة الطعام المُعدة ولا تستطيع الانتظار ولو حتى قليلاً، أما الفقير فإنه يقف منتظراً حتى المساء متلهفًا بفارغ الصبر ومشتهيًا أن يضمن لنفسه طعام اليوم، متطلعًا أن اليوم ينتهي، أما المال الذي يكفي للطعام اليومي فإنه غير كافي مما يجعله يعاني ويغضب ويضطر أن يفعل ما هو فوق طاقته، وهذا هو السبب الذي يجعلهم يهاجموننا بشدة وقت المساء، يحلفون ويُحَلِفون الأخرين، يتحسرون وينحون ويمدون أيديهم، ويضطرون أن يفعلوا كثير من الأفعال المخزية، إذ يخافون لئلا يرتحل الجميع إلى بيوتهم وينتهي بهم

الأمر إلى التجول في المدينة مثل مَنْ يتجول في برية قاحلة. كمثل مَنْ سقطوا في غرق أثناء النهار يتشبثون بأي لوح خشبي حتى يصلون لميناء السلامة قبل أن يمسي عليهم النهار، كي لا يداهمهم الليل وهم لا يزالون بعيدًا عن الميناء معانين الغرق بشكل مخيف. هكذا أيضا الفقراء، فهم يعانون الجوع مثل الغرق، يتلهفون بفارغ الصبر أن يجمعوا قبل المساء المال الكافي لقوتهم، حتى لا يبقوا خارج الميناء، وهم يشاهدون أن الجميع يرحلون إلى بيوتهم. إذ أن ميناء سلامتهم هي تلك الأيادي الرحيمة.

٤- أما نحن فإننا عندما نوجد في الساحات العامة، لا نتأثر من سلوكهم ولا حتى عندما نعود لبيوتنا، ولكن عندما تكون مائدة الطعام بجوارنا ممتلئة من الخيرات الزائدة عن حاجتنا، - وذلك ان صح أن ندعوا تلك الأطعمة التي نأكلها خيرات وهي علامة تدين عدم إنسانيتنا[١٤٦]- وحتي عندما تكون المائدة مُعَدة ونسمع أصواتهم من أسفل وهو يسيرون في الأزقة الضيقة، يصرخون بأصوات عالية وهم سائرون بين المنازل، حتى أنهم يعانون من الظلام الحالك، وكأنهم في صحراء خاوية ونحن لا نبالي، وكذلك عندما نشبع ونذهب للنوم، نسمعهم وهم يصرخون مجدداً من أسفل وهم يعانون بشكل مخيف،

[١٤٦] يرفض القديس ذهبي الفم أن نسمي الأطعمة الذي نأكلها بأنها "خيرات" طالما لا نقدم منها إلى الفقراء فهي لن تكون لنا خيرًا بل برهانًا علي عدم إنسانيتنا فنُدان بسببها أمام الله.

ونسمعهم ليس كأصوات بشر بل ككلاب مسعورة. فإننا نظهر لامبالاة كبيرة، ولا حتى في ذلك الحين نغير موقفنا منهم، لأن الليل يكون بالأكثر قد تقدم والجميع قد نام، أما ذاك (الفقير) ينوح، ليس بسبب مطلبه البسيط، لأنه لا يسألنا سوى الخبز أو قليل من المال، ولا يطلب أمرا ضخماً، لأنه يعاني من الجوع المستمر، ولكن لا عطف على المتوسلين، لأنه وإن كان في أشد العوز إلا انه لا يجرؤ حتى أن يقترب من الأبواب بل يتوسل من أسفل ولوقت طويل. فإن نال شيئًا فانه لا يكف عن الدعاء وإن لم يأخذ فإنه لا يخرج من فمه كلمة سوء، ولا يَسب أو يلعن أولئك الذين في قدرتهم أن يعطوا ولا يقدمون شيئًا، ولكنه مثل شخص يساق بواسطة جلاد لعقوبة فوق طاقة الاحتمال وإذ هو يتوسل من كل المارة ويستغيث بهم ولا يجد أي مساعدةٍ من أحدٍ، يساق بوحشية، نحو العقوبة، هكذا أيضا ذاك (الفقير) كمن يسوقه جلاد الجوع في الليل والسهر الذي لا يحتمل، يمد يداه ويتوسل بصوت صارخ أولئك الذين يجلسون في بيتهم، ولا ينالون أي عمل رحمة يتم طردهم بلا شفقة وبقسوة شديدة.

غير أن هذا الأمر لا يلين قلوبنا، بل بعد كل هذا التصرف اللاإنساني نتجاسر أن نبسط أيدينا نحو السماء لنتحدث إلى الله، طالبين غفران خطايانا، ولا نخاف بعد كل هذه القسوة والوحشية، أن تسقط علينا صواعق البرق بعد صلاة مثل هذه. فقل لي كيف نذهب لنخلد للنوم والراحة ولا نخاف لئلا يأتينا في منامنا ذلك الفقير، صارخًا،

متسخاً، مرتديا الخرق، يجهش بالدموع والنحيب، ويلقي باللائمة على قساوتنا؟ ولكني سمعتُ كثير من الناس يقولون أنهم بعد تلك الليلة التي تغاضوا فيها عن مساعدة الفقراء رأوا أنفسهم مربوطين بوثق والفقراء يجرونهم بأيديهم، وهم ممزقون ويعانون من أمور لا حصر لها.

غير أن ذلك يتم في نومهم وفي أحلامهم، وهي عقوبة مؤقتة، ولكننا لا نخاف، فقل لي ألعل ذلك الفقير الذي ينتحب ويصرخ وينوح ألعلنا نراه في حضن إبراهيم تماما كما رأي الغني لعازر؟ كل ما حدث في هذا المثل بعد ذلك أتركه إلى ضمائركم، أقصد مكان العذاب حيث الألآم التي لا تطاق والمرارة، كيف طلب ماء ولم يعط له ولا حتى قطرة، وكيف جف لسانه وكيف أنه على الرغم من توسلاته الكثيرة لم ينل أي مغفرة، وكيف عوقب إلى الأبد.

وأتمني ألا يحدث لنا ذلك عمليًا، بل أن يكون سماع حديثنا هذا سببًا في تجنب تلك المصائر التعسة، وأن نكون مستحقين لتقبل عطف أبينا إبراهيم، وأن نكون معه في نفس المكان.

نعمة ومحبة ربنا يسوع المسيح الذي يليق به مع الآب الكرامة والمجد والقوة مع الروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور.

العظة السادسة

في أن آدم كان عارفاً للخير والشر قبل أن يأكل من شجرة المعرفة، وفي انه من الضروري التأمل في الكلام الذي يقال في الكنيسة عند الرجوع إلى البيت.[١٤٧]

فائدة اجتماع الوعظ في الكنيسة

في الواقع فأنني أحب الصوم، لأنه أبو التعقل[١٤٨] ومصدر كل حكمة[١٤٩]، وأيضا أحبه بسببكم وبسبب محبتكم، لأنه لأجلي قد صار هذا الاجتماع المقدس، الذي أعطاني الامكانية أن أرى مجدداً الوجوه المحبوبة ومنحني الفرصة السانحة أن أتمتع بهذه الأعياد والاحتفالات الطيبة.

فلا يخطئ أحد إن دعا اجتماعنا هذا بأنه عيد واحتفال وخيرات لا تُحصى، لأنه إن ذهب أحدٌ للساحات العامة[١٥٠] وتلاقي هناك مع

---

[١٤٧] العنوان بحسب SC أما في النص اليوناني PG فهو: *"عن الشجرة (المحرمة)، إن كان بسببها قد أتت معرفة الخير والشر إلى آدم أم أنه قبل أن يأكل منها كانت لديه هذه المعرفة. وأيضا حديث عن الصوم، وفي أنه من ضروري أن يدرس المرء في البيت ما يقال في الكنيسة"* .

[١٤٨] العبارة اليونانية: μήτηρ σωφροσύνης تعني حرفيًا " أم التعقل" وذلك لأن كلمة "صوم" باليونانية لفظة مؤنثة ἡ νηστεία .

[١٤٩] حرفياً φιλοσοφία فلسفة، في الترجمة اليونانية الحديثة تُرجمت الي تقوى!

[١٥٠] الساحات العامة كثير ما كان يستخدمها ذهبي الفم في مقابل الكنيسة كمقارنة بين الحياة

صديق فانه في كثير من الأحيان يخرج ما في صدره من ضيق وإحباط، أما نحن فلا نجتمع في ساحة عامة بل في الكنيسة، ونجتمع ليس مع صديقًا واحدًا بل إننا نتواجد مع كثير من الإخوة والآباء، أفلا نطرح عنا كل ضيق وإحباط؟ وكيف لا نثمر كل سعادة وفرح؟ حيث أن اجتماعنا هذا أفضل من الاجتماع مع صديق في الساحات العامة ليس فقط من جهة كم الحضور ولكن أيضا من جهة محتوى الحديث الذي يدور بيننا.

في الواقع، كثير من الأحيان أولئك الذين يجتمعون في الساحات العامة، ويجلسون في حلقات، يتحدثون في أمور سخيفة، ويجرون حوارات عقيمة، ويتناقشون في موضوعات لا تليق بهم. كما أنه من المعتاد بل أنه في أغلب الأحيان ننشغل في فحص غرائب الأمور. فإنه لمن المجازفة والخطورة أن نتحاور أو نستمع لمثل تلك الأحاديث، وننجرف ورائها حيث تسببت تلك التجمعات في كثير من العواصف التي دمرت بيوتًا، أترك ذلك جانبًا الآن، لأن تلك التجمعات غير مجدية وفاترة، وتدور حول الأمور العالمية، ومن غير الممكن أن يتابع المرء في مثل تلك التجمعات كلمة روحية، ولا أحد يستطيع أن يبدي اعتراضه علي شيء.

العالمية في مقابل الحياة الروحية.

أما هنا فلا يحدث نفس الشيء، بل الأمر على العكس تمامًا، لأن أي نِقاش غير مجدي فهو مستبعد، وكل تعليم روحي نقدمه، حيث أننا نتناقش هنا عن أنفسنا، وكذلك عن الخيرات التي تليق بالنفس، وأيضًا عن التيجان المحفوظة في السماوات، وعن طرق الحياة الممجدة، وعن محبة الله للبشر، وعنايته بالكل، وكل الامور التي تليق بنا في المقام الأول، وأيضًا عن أي سبب خُلِقنا وماذا سوف يصير لنا بعد رحيلنا من هذه الحياة، وماذا سيكون نصيبنا ولقائنا هناك، ليس فيما بيننا فقط بل أيضا مع الأنبياء والرسل، والأهم من أي شيء بكل تأكيد هو وجودنا مع رب الكل نفسه. لأنه يقول: *"لأَنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ"* [١٥١] لأنه إن كان حيث يجتمع أثنان او ثلاثة، فيكون هو حاضرًا هناك بينهما، فكم بالأولى وجوده هنا بيننا حيث يجتمع كثير من الرجال والنساء وكثير من الآباء والرسل والأنبياء، فأننا بحماسةٍ شديدةٍ نتحدث متمتعين بالمعونة من أولئك وسوف نحقق الوعد الذي وعدناكم به.

معرفة آدم للخير والشر

السبب الأول : تفوق آدم على باقي المخلوقات

قد وعدتكم أن نتحدث أولاً عن الشجرة (المحرمة) وهل كان بسببها

[١٥١] مت ١٨: ٢٠

قد حصل آدم على معرفة الخير والشر أم كانت له هذه المعرفة قبل أن يأكل من ثمرتها، بقناعةٍ شديدةٍ سوف أقول لكم إنه كانت له هذه المعرفة قبل أن يأكل من هذه الثمرة (المحرمة)، لأنه إن كان لا يعلم ما هو الخير وما هو الشر فسوف يكون غير عاقلاً بل وأدني من الحيوانات العجماوات، وسوف يكون السيد أغبي من العبيد، فكيف لا يكون من العبث أن يعرف الماعز والخرفان ما هي أوراق النباتات النافع لها من تلك التي تسبب لها الضرر، وألا يدنوا من كل ما يروه (من عشب)، بل يكون لديها قدرة التمييز وأن يعرفوا حسنًا جدًا ما هو مضر لها، وما هو نافع، بينما يحرم الأنسان من هذه القدرة العظيمة؟ لأنه إن لم تكن له هذه المعرفة، فإنه لن يكون أسمى من المخلوقات الأخرى بل سوف يكون أقلهم أهمية، فسوف يكون من الأفضل له أن يحيا في الظلام، من أن لا يعرف ما هو الخير وما هو الشر، لأننا لو طرحنا هذه المعرفة من حياتنا فإن كل حياتنا سوف تُدمر، وكل أمورنا سوف تمتلئ بالارتباك.

السبب الثاني: أن البشر الأقل تحضرا، بل والحيوانات أيضا، يميزوا بالطبيعة بين الخير والشر.

في الواقع، هذا ما يميزنا عن الحيوانات العجماوات، وما يجعلنا أسمى من الوحوش هو أننا نعرف أن نفرق ما بين الشر والفضيلة، وأن نميز الشر وألا نجهل الخير.

فإن كُنا لا نعرف هذا (التميز) الآن وليس فقط نحن بل أيضا (قبائل) السكيثس والبرابرة، فقبل الخطية بكثير من الوقت عرف ذاك الانسان هذا التمييز فليس من الممكن أبدًا لذاك الذي كُرِم بكثير من الكرامات مثل خَلقَه على "حسب الصورة" وعلى "حسب المثال"، وباقي البركات الأخرى، أن يبقي عاريًا من قمة كل الخيرات، لأن كل من حُرِم من الطبيعة العاقلة فقط هو الذي يجهل الخير والشر، بينما آدم كان ممتلئ جدًا بالحكمة، وكان قادرًا على التمييز بينهما وكان مملوءً من الحكمة الروحية.

برهان آخر: قدرة آدم على تسمية الحيوانات بأسمائها

فاسمع هذا البرهان، إذ يقول إن الله ساق إليه الوحوش "*فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدم لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا، وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدم ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا*."[١٥٢] فكِر إذن بأي حكمة كان ممتلئًا حتى أنه يستطيع أن يَهِب أسماء لكثير من الأنواع وكثير من الأصناف المختلفة وأنواع الماشية والزواحف والطيور حتى أن يكون قادرًا على إعطاء أسماء أصيلة لكل نوع، وهكذا قد قَبِل الله بارتياح هذه الأسماء الموضوعة، حتى أنه لم يغير أي اسم من هذه الأسماء، لأنه يقول *وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدم ذَاتَ*

[١٥٢] تك ٢: ١٩

نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا."[١٥٣].

فهل ذاك إذن لم يكن عارفاً بالخير والشر؟ فكيف يمكن لهذا الرأي أن يبرر؟

برهان آخر: قدرته في التعرف على حواء.

وثانياً أحضر الله إليه المرأة، وبمجرد أن رآها عرف أنها تشاركه نفس طبيعته، فماذا قال؟: "*هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي*"[١٥٤] لأنه قبل قليل قد ساق الله أمامه كل الحيوانات ولكي يُظهر آدم أن هذا الكائن (حواء) ليس مثل باقي الكائنات قال "*هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي*"[١٥٥] فالبعض يقول أنه لا يُلَمِح لهذا فقط ولكن طريقة الخلق أيضاً حيث يقول "هذه الآن" إذ أن المرأة لن توجد بهذه الطريقة فيما بعد، لذلك فأنه حسناً أن مُترجِمًا آخر قد ترجم النص أكثر دقة[١٥٦] إذ يقول " هذه المرة فقط" وكأنه يريد أن يقول " أنها الآن فقط المرأة وُجدت من الرجل وحده، ولكن فيما بعد لن يكون الأمر هكذا

---

[١٥٣] تك ٢: ١٩

[١٥٤] تك ٢: ٢٣

[١٥٥] تك ٢: ٢٣

[١٥٦] ربما يقصد بعض معلميه من مفسرين الكتاب من مدرسة أنطاكية، وربما يقصد ترجمة خاصة للعهد القديم غير السبعينية كترجمة سيماك أو ثيؤدسيون الأقرب للنص العبري عن الترجمة السبعينية.

بل سوف تأتي للوجود من الاثنين معاً"

"*هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي*"[١٥٧] فطالما أخذ الله قطعة من كل الخليط (أي التراب الذي جبل منه آدم)[١٥٨] خلق بهذه الطريقة المرأة حتى تكون هناك علاقة كاملة ومشابهة مع الرجل. إذ يقول (آدم) هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ»[١٥٩]

حتى أن التسمية أيضا توضح اشتراك الطبيعة (أي اشتراك آدم وحواء في ذات الطبيعة)، وهكذا فالتعليم بأن طبيعتهم واحدة في طريقة الخلق كانت الدافع إلى المحبة الدائمة والارتباط الواحد. فماذا قال بعد ذلك؟ "*لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا.*"[١٦٠] فلم يقل "يتحد" بل "يلتصق" حتى يظهر على الارتباط التام بينهما، *وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا.*"[١٦١] فهل ذاك الذي يعرف كل هذا لم يكن

---

[١٥٧] تك ٢: ٢٣

[١٥٨] هنا يستخدم ذهبي الفم التعبير φύραμα الذي يعبر عن خليط أو عجينة ليؤكد على اشتراك آدم وحواء في نفس الطبيعة ونفس التعبير نستخدمه في الثيؤتوكية لنعبر عن اشتراك السيد المسيح لنفس الطبيعة البشرية للسيدة العذراء عندما نقول " *كل عجينة البشرية قد أعطتها بالكمال لله الخالق وكلمة الأب*" **Πιουωϣεμ** ⲧⲏⲣϥ ⲛ̀ⲧⲉ ϯⲙⲉⲧⲣⲱⲙⲓ ... ثيئوتوكية يوم الخميس – القطعة السادسة "يا لعظم الأعجوبة ...".

[١٥٩] تك ٢: ٢٣

[١٦٠] تك ٢: ٢٤

[١٦١] تك ٢: ٢٤

يعرف ما هو الخير وما هو الشر؟ أجِبني! وكيف يمكن أن يكون هذا الرأي مبررًا؟

لأنه إن لم يكن يعرف ما هو الخير وما هو الشر قبل أن يأكل من الشجرة ولكنه عرفه بعد الأكل فإن الخطية قد صارت بالنسبة له معلمًا للحكمة والحية لن تعد مضللة بل تصير مشيرة لصالحه، وهكذا صيرت الحيوان إنسانًا!، ولكن فكرة كهذه ابعد ما تكون عن الحقيقة، فالأمر ليس كذلك، ليس كذلك. فلو أنه لم يكن يعرف ما هو الخير وما هو الشر، كيف إذن أقتبل وصية؟ لأنه لا يوجد أحد يعطي تشريعًا لمن لا يعرف أن الشر معصية. بينما في الحقيقة قد أعطاه الله شريعة وفرض عليه عقوبة في حال عصيانها وما كان من الممكن أن يفعل هذان الأمران (الشريعة والعقوبة) إن لم يجعله منذ البدء عارفاً للفضيلة وللرذيلة.

أرأيت كيف أنه من جميع النواحي يتأكد أن آدم لم يكن عارفاً للخير والشر بعد الأكل من الشجرة (فقط) بل كان عارفاً لكليهما قبل الأكل؟

خاتمة عن حفظ كلام الوعظ.

كل هذا يا أحبائي فلنحفظه، وبعد أن نعود إلى بيوتنا فلنعد مائدة مزدوجة سواء للطعام او للاستماع لكلِ ما قُلناه، فليقل الرجل كل ما قلناه هنا، والمرأة فلتتعلمه وكذلك الأولاد فليسمعوه، فلا يحرم هؤلاء

المستمعون ولا الخدم من هذه التعاليم. فلتجعل بيتك كنيسة لأنك مسئول عن خلاص أولادك وخَدَمك، هكذا كما أننا مسئولون عنك كذلك كل واحد منكم مسئولاً عن خادمه وامرأته وولده، ومن كل هذه الأقوال سوف تنشأ فينا الأحلام المبهجة الخالية من أي خيالات، لأن الأمور التي تهتم بها النفس في يومها تتخيلها في منامها. لأنه إن حفظنا في ذاكرتنا كل ما يقال في يومنا فأننا لن نحتاج لكثير من الجهد (للإدراك والفهم). وأيضا سوف تصير العِظة بالنسبة لكم أكثر وضوحًا وبالنسبة لنا تصير التعاليم مهيئة بالأكثر.

وحتي تكون هناك فائدة عظيمة لنا ولكم، بالنسبة لنا من التعليم وبالنسبة لكم من الاستماع لهذا التعليم، فلنُعد مع المائدة الجسدية (المادية) المائدة الروحية، وسوف تصير لكم هذه الموائد آمنة ورائعة وسوف يوجه الله كل ما يخص الحياة الحاضرة نحو مصلحتنا وكل شيء يصير لكم سهل ومنجز. لأنه يقول "*اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ.*"[١٦٢] فلنطلب إذن يا أحبائي هذه حتى ننال الخيرات هنا وهناك، بالنعمة ومحبة البشر لربنا يسوع المسيح الذي به ومعه يليق المجد للآب والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور. آمين.

---

[١٦٢] مت ٦: ٣٣

العظة السابعة

لماذا دعيت الشجرة بـ "شجرة معرفة الخير والشر"؟ وما معنى القول "اليوم تكون معي في الفردوس"؟

مقدمة عن مائدة الوعظ والتعليم

البارحة، قد توسلت كثيراً من محبتكم أن تتذكروا كل ما يقال هنا وأن تقدموا في المساء مائدة مزدوجة، مائدة للطعام وأخرى لكلمات الوعظ، فهل فعلتم ذلك إذن؟ هل أقمتم تلك المائدة المزدوجة؟ أنا أعرف أنكم قد فعلتم ذلك وأنكم تشاركتم ليس فقط في المائدة الأولى بل الأخرى أيضاً، لأنه من غير الممكن أن توجهوا اهتمامكم للمائدة الأقل أهمية متغافلين عن تلك الأكثر أهمية. لأن الأولى أعدتها أيادي الطباخين ولكن الأخرى أعدتها ألسنة الأنبياء، الأولى تحتوي على منتجات الأرض بينما الأخرى تحتوي على الثمرة التي مصدرها الروح. وطعام تلك المائدة الأرضية يؤول بسرعة للفساد بينما الأخرى أطعمتها تقود إلى عدم الفساد، الأولى للحفاظ على حياتنا الحاضرة أما الأخرى فتقود إلى حياة الدهر الآتي، فقد أعددتم إذن هذه المائدة مع تلك، فأنني عالم بذلك ليس لأنني قد سألت أحد أتباعكم أو خادم لكم، بل الإعلان الأكثر وضوحًا! فما هو يا تُرى؟ ألا وهو تصفيقكم على كلامي وتأيدكم لتعليمي، لأنني عندما قلت لكم البارحة: "ليجعل كل واحد بيته كنيسة" فسمعتكم تصيحون بشدة معربين عن فرحتكم بكل ما

قيل.

فذاك الذي يسمع أقوال العظة بفرح لديه استعداد أن يبرهن عليه بالعمل، لذلك فاليوم قد أخذت على عاتقي بعزمٍ بالغ أن اقدم لكم التعليم.

ولكن فلتتيقظوا الأن بالحري، فيجب ليس علي المتحدث فقط بل يجب على المستمعين أيضا، أن يكونوا مهيئين لبذل قصارى جهدهم، بل المستمع أكثر من المتحدث نفسه. فمن جهتنا فإن أمرًا واحدًا يهمنا ألا وهو أن نقدم لكم الخيرات الربانية[١٦٣] أما أنتم فالمجهود أكبر، لأنه يجب أن تقبلوها وأيضا أن تحفظوها بكل أمانة، فضعوا إذن بعد سماع العظة الأقفال وأغلقوا أبواب الفكر، وأفكار العظة التي تحوم حول النفس وكأنها حُراسًا عليها، وكما أن اللص وقح ويسهر دائما وهو يهاجم باستمرار ويكرر المحاولة حتى لو فشل في عديد من المرات، فلتكن إذن الحراسات مشددة، ولو رأوا الشيطان أنه أتى ويريد أن يخطف شيئاً من تلك التي وضعت في داخل النفس، فليبعدوه بصراخ وجرأة عظيمة، وإذ قُدِمَت الاهتمامات الدنيوية، فلتمنعوهم، وإن كان النسيان الذي ينبع من الطبيعة مزعج باستمرار، فلنحفز الذاكرة بالدرس، لأن الخطر ليس صغيرًا إذ تعلق بفقدان الخيرات الربانية.

---

[١٦٣] العبارة اليونانية: τὰ δεσποτικὰ χρήματα وحرفيًا تعني الأموال السيدية، والمقصود بالطبع النعم والهبات الربانية.

في الواقع، فإن أولئك الذين يقومون بمهمة حفظ الأموال يعاقبون كثيرًا حتى الموت في حال تبديدهم لتلك الأموال التي أؤتمنوا عليها، فبأي عقاب إذن سوف يعاقب أولئك الذين يقبلون أقوال الوعظ - وهي أهم من المال-، وينسونها بعد ذلك؟ فمسئولية حفظ تلك الأموال فقط تكون على أولئك الذين يقبلونها وليس سواهم، لأنه بمقدار ما يودع إليهم من هذه الأموال، بمقدار ما يكونوا مجبرين أن يردوها ولا شيء أزيد من ذلك يُطلَب منهم.

مَثْل الوزنات

أما فيما يخص كلمة الله، فلسنا فقط مسئولين علي الحفاظ عليها بل أنها تحتاج إلى عمل دؤوب، لأننا لا نُطالب فقط بما قبلناه، بل بجوار ذلك يجب أن نقدمها للرب مضاعفة، فعلى الرغم من أنه هناك ضرورة لحفظ الكلمة فان الأمر يحتاج إلى جهاد واعتناء أكثر، وعندما يحمينا الرب وننميها. فَكِرْ كم من التعب والعناية تحتاج منا وقد اؤتمنا عليها، لذلك فالذي قد أؤتمن على خمسة وزنات (مواهب) لم يقدم بمقدار ما أؤتمن بل أكثر، لأن ما يأتي هبة من محبة الرب للبشر فيجب علي العبد أن يظهر عناية خاصة به، وبالمثل ذاك الذي أؤتمن على وزنتين قد ربح أيضًا وزنتين أخريين، لذلك أستحق نفس الكرامة من الرب نفسه، أما ذاك الذي أؤتمن على وزنة واحدة وقدمها دون أن ينقص أو يقلل الوديعة ولا زادها حتى بمقدار النصف، لأنه لم يُظهِر أي اهتمام واجب لذا لم يقدم ضعف ما أؤتمن عليه، فقد عوقب عن حق بأشد

عقاب. لأنه قال: إذ كنت أريد أن أحافظ عليها وألا يأتي منها أي مكسب، فما كان يجب أن أقدمها ليد العبيد. أما أنت فمن فضلك انتبه إلى محبة الله للبشر، فقد قدم الذي أؤتمن على خمسة وزنات على خمسة وزنات أخرى، ومن أؤتمن على اثنتين قدم مثلهما، وكل منهما قد حصل على نفس المكافأة، لأنه كما قال للأول: " *نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ! كُنْتَ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ.*"[164] بالمثل قال للثاني: " *نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الأَمِينُ! كُنْتَ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ.*" فمبلغ الربح ليس هو نفسه (في الحالتين) ولكن المكافأة واحدة، هكذا فان الثاني قد أستحق نفس الكرامة، فالله لا يبالي بمقدار ما يقدم بل بمجهود العاملين، فهكذا كل منهما قد عمل ما في وسعه، فزيادة كم الربح المقدَم أو قلته ليست بسبب إهمال هذا أو اهتمام ذاك بل لاختلاف مبلغ الوديعة المعطاة، فذاك نال خمسة وقدم خمسة أخرى، وهذا نال اثنتين وقدم اثنتين أخريين، لم يقل أي شيء من مجهوده، فهو أيضا قد ضاعف ما قد أؤتمن عليه (من وزنات)، أما الذي نال وزنة واحدة لم يقدم سواها لذلك قد عُقِبَ.

٢- فهل سمعتم كم من العقاب المحفوظ لأولئك الذين لا يهتمون أن ينموا ويزيدوا الخيرات الربانية؟ إذن، دعونا أيضًا نحفظ ونحرص على تنميتها، وليتنا نهتم أن ننميها وأن نحاول أن نجعل المكسب منها

[164] مت ٢٥: ٢١

وفير. فلا يَقُل أحد: إنني إنسان بسيط، إنني تلميذ، لا أملك القدرة علي التعليم، إنني غير متعلم، وإنني لست جدير بشيء. لأنه إن كنت إنسان عامي، وأيضا ما زلت غير متعلم، وإن كان الرب قد ائتمنك علي وزنة واحدة، فلتحاول أن تزيد تلك الوزنة التي سُلِمَت لك وسوف تنال نفس أجر المعلم، ولكن فلتحفظوا كل ما قيل (في اجتماعنا) وان تنفذوه بكل حرص، فإنني مقتنع تمامًا بأن لا نستنفذ كل حديثنا في هذا الأمر، فلنتقدم إذن ونقدم لمحبتكم كل ما قد قيل البارحة، مقدمين لكم هذا الأجر حتى تحفظوه. لأن ذاك الذي حفظ ما أؤتمن عليه أولاً مستحق أن ينال المزيد.

لأي سبب دعيت شجرة معرفة الخير والشر بهذا الاسم.

إذن، فماذا كان موضوع حديثنا بالأمس؟ الحديث كان عن الشجرة وأوضحنا أن الانسان كان يعرف الخير والشر قبل أن يأكل من الشجرة، وكان ممتلئ بكل حكمة، الأمر الذي يظهر جليًا من كونه قد أعطي الحيوانات أسماء، وأنه قد تَعَرف على المرأة بقوله: *"هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي"*[١٦٥] ومن ذلك فقد ناقش موضوع الزواج والتناسل وطريقة معيشة الزوجين بالنسبة للأب والأم، وأيضا بأنه استلم الوصية. لأنه لا يعطي أحد وصية وشريعة عما يجب أن يفعل وما يجب ألا يفعل لمن لا يعرف الخير والشر.

---

[١٦٥] تك ٢: ٢٣

اليوم إذن يجب أن نتحدث عن السبب الذي لأجله دُعيت الشجرة بمعرفة الخير والشر طالما أن الانسان لم ينل معرفة الخير والشر من الأكل منها؟ لأنه ليس أمرًا هينًا أن نعرف لماذا دعيت الشجرة بهذا الاسم، وأيضا فان الشيطان قد قال: *"يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ"*[١٦٦] فكيف إذن تقول أنه لم يضع في الانسان معرفة الخير والشر؟ فمَنْ إذن قد وضع هذه المعرفة فيه؟ هل الشيطان؟ فستجيب بنعم لأنه يقول " *وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ*"[١٦٧] وبعد ذلك تقدم لي شهادة العدو والمخادع، فبالرغم من أنه أكد أنهما سيصيران إلهان، فهل تحقق ذلك بالفعل؟ وبالمثل لا معرفة الخير والشر قد حصلا عليها في ذلك الحين[١٦٨]. لأن ذاك كذاب ولا يتفوه بأي شيء من الحق، فقد قيل انه "*لَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ*"[١٦٩] دعونا إذن أن لا نقدم شهادة الشيطان بل لنفحص الأمر ذاته لأي سبب دعيت الشجرة بمعرفة الخير والشر.

فبشكل مبدئي إذ اعتبرته أنه حسن علينا أن نبدأ أولاً في معرفة معني الخير الشر، فما هو إذن الخير؟ هو الطاعة، وما هو إذن الشر؟ هو المعصية، ومبدئيًا لكي لا نضل في تعريفنا بشأن طبيعة

---

[١٦٦] تك ٣: ٥

[١٦٧] تك ٣: ٥

[١٦٨] أي منذ اللحظة التي ذاقا فيها ثمرة الشجرة المحرمة.

[١٦٩] يو ٨: ٤٤

الخير والشر فلنتحقق من الكتب المقدسة عما هو خير وما هو شر، فاسمع ما يقوله النبي : *"مَا هُوَ صَالِحٌ، وَمَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ"*[170] فقل لي ما هو الخير : *"أَن تَصْنَعَ الْحَقَّ"*[171] أرأيت كيف أن الطاعة هي الخير؟ لأن الطاعة تتبع من المحبة، ومرة أخري يقول: " *لأَنَّ شَعْبِي عَمِلَ شَرَّيْنِ: تَرَكُونِي أَنَا يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ، لِيَنْقُرُوا لأَنْفُسِهِمْ أَبْآرًا، أَبْآرًا مُشَقَّقَةً لاَ تَضْبُطُ مَاءً.*"[172]

الخير هو الطاعة، والشر هو المعصية

أترى أن الشر هو المعصية والابتعاد عن الله؟ مبدئيًا فلننتبه لهذا، لأن الخير هو الطاعة، والشر هو المعصية، وهكذا سنعرف ذاك، وهكذا دُعيت الشجرة بمعرفة الخير والشر، لأن الوصية التي تختبر الخير والشر قد أعطيت من تلك الشجرة، لأن آدم كان يعلم من قبل أن الخير هو الطاعة والشر هو المعصية، وقد عرف ذلك فيما بعد بأكثر وضوحًا عن طريق الخِبرة وتجربة الأشياء.

قايين كمثال للمعرفة الاختبارية للشر

وبالمثل تمامًا فإن قايين كان يعرف أن الأمر شر[173]، فاسمع ماذا

---

[170] مي ٦: ٨

[171] مي ٦: ٨

[172] أر ٢: ١٣

[173] أي أنه كان عالم من البداية قبل أن يرتكب فعلته، أن قتل المرء لأخيه جريمة.

يقول: "*هلم نذهب للسهل*"[١٧٤] فلأي سبب تقوده نحو السهل وتنتزعه من الأحضان الابوية؟ ولماذا نقلته إلى الصحراء؟ وجردته من الوِصاية؟ ولماذا أبعدته عن نظر أبويه؟ ولماذا أخفيت فِعْلك الطائش إن لم تكن خائف من الخطية؟ ولماذا بعد ارتكابك للقتل مرة أخرى عند سؤالك تتحجج بصعوبات وأكاذيب؟ لأنه عندما قال لك الله: «*أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟*» فقلتَ: «*لاَ أَعْلَمُ! أَحَارِسٌ أَنَا لأَخِي؟*»[١٧٥] فقد أتضح جليًا أنه أقدم على هذا الفعل وهو يعرف جيداً مقدار ثقله.

لأنه كما كان يعرف وقبل أن يرتكب فعله أن القتل شر، كذلك قد عرف هذا الأمر بشكل أكثر وضوحًا بعد ذلك عندما قَبِلَ العقوبة وسمع القول: "*تَائِهًا وَهَارِبًا تَكُونُ فِي الأَرْضِ*"[١٧٦] وبالمثل فإن أبه كان يملك معرفة الخير والشر، قبل الأكل (من الشجرة المحرمة) وإن لم تكن معرفة واضحة كما الحال بعد الأكل، فماذا أقول؟ لأن الشرور نعرفها كلنا قبل أن نرتكبها، ولكننا ندركها جيدًا بعد ارتكابها، ثم ندركها بأكثر وضوحًا جدًا عندما نُعاقب عليها[١٧٧]. **هكذا فإن قايين كان يعرف أن**

---

[١٧٤] تك ٤: ٨ حسب النص السبعيني

[١٧٥] تك ٤: ٩

[١٧٦] تك ٤: ١٢

[١٧٧] هنا يضع القديس يوحنا ثلاث درجات لمعرفة الشر، وهي معرفة نظرية قبل السقوط وهي للتمييز بين الخير والشر، ثم معرفة أكثر وضوحًا بعد فعل الخطية، وهي المعرفة الاختبارية، وفي النهاية، معرفة ثالثة أكثر وضوحًا من سابقتها وهي عندما يُعاقب الإنسان على خطيته. راجع المقدمة.

قتل الأخ هو شر وقبل أن يرتكب هذا الفعل، ولكنه تعلم بأكثر وضوحًا بعد ذلك عندما قَبِلَ العقوبة، وكذلك نحن نعرف - قبل أن نصاب بالمرض- أن الصحة هي خير بينما المرض هو شر لا يطاق، ولكننا نميز الفارق بينهما أكثر جدًا عندما يصيبنا المرض.

وبهذه الطريقة، فإن آدم كان يعرف أن الخير هو الطاعة وأن الشر هو المعصية، ولكنه عَرِفَ بأكثر وضوحًا عندما ذاق من الشجرة وطُرِدَ من الفردوس وحُرِمَ من ذاك النعيم. ولأنه عوقب لأنه ذاق من الشجرة على الرغم من أن الله قد نهاه عنها، فإن العقوبة قد علمته بأكثر وضوحًا من نفس خبرة الأمور، فكم هو شر عظيم أن تعصى الله وكم هو خير عظيم أن تطيعه، فلذلك دعيت الشجرة بمعرفة الخير والشر، فلأي سبب إذن (دُعيت الشجرة بهذا الاسم) إن كانت طبيعة الشجرة ذاتها ليست فيها معرفة الخير والشر؟ ولكن الإنسان قد تعلمها أكثر وضوحًا بواسطة العقوبة بسبب عصيانه، بتذوقه من الشجرة، لأن الكتاب المقدس أعتاد على مثل هذا الأسلوب، فعندما يحدث شيئًا ما في أماكن أو أزمنة مختلفة فأنه من ذات الحدث تُسمى تلك الأماكن أو الأزمنة، ولكي يصير كلامي واضحًا، فسوف أوضحه ببعض الأمثلة:

أمثال من الكتاب المقدس لتسمية الأشياء وفقًا للأحداث.

- **بئر إسحاق كمثال**

حفر إسحاق بعض الآبار، فحاول جيرانه أن يدمروها، فبسبب هذا

الحدث خُلِقت عداوة بينهما وبسبب ذلك دُعيت هذه الآبار بآبار العداوة[١٧٨]، ليس لأن البئر أظهرت عداوة تجاهه بل لأن العداوة قد ظهرت بسبب هذه البئر، هكذا أيضا الشجرة دُعيت بمعرفة الخير والشر، ليس لأنها فيها المعرفة بل لأن عن طريقها صار البرهان لمعرفة الخير والشر.

- **مثال أخر: بئر إبراهيم**

وأيضا إبراهيم قد حفر بئر فتآمر ضده أبيمالك، غير أنهما تقابلا وأنهيا تلك العداوة، وبعد أن أقسما فيما بينهما دعيا تلك البئر ببئر القسم[١٧٩] ليس لأن البئر قد أقسم بل لأن القسم له علاقة بالبئر، أترى كيف أن الأماكن ليست سبب الأحداث، حتى لو أنها تستمد أسمائها مما يحدث؟

ومن الضروري جدًا أن نشير إلى أمثلة أخرى حتى يصير ما نقوله أكثر وضوحًا.

---

[١٧٨] راجع (تك ٢٦: ١٨-٢٢) حيث تسمي البئر بالعبرية (سِطْنَةَ) أي خصومة وقد تُرجم الاسم في الترجمة السبعينية –التي استخدمها ذهبي الفم – بمعناه Ἐχθρία أي خصومة أو عداوة.

[١٧٩] تك ٢١:٢١-٣٢ دعي بالعبرية (بِئْرَ سَبْعٍ) الذي يعني بئر القسم: " *لِذلِكَ دَعَا ذلِكَ الْمَوْضِعَ «بِئْرَ سَبْعٍ» ، لأَنَّهُمَا هُنَاكَ حَلَفَا كِلاَهُمَا.* " تك ٢١: ٣١

- **مثال ثالث: رؤيا يعقوب.**

نظر يعقوب أيضا ملائكة مقبلين عليه وجيش الله، فدعي أسم المكان "جيش"[١٨٠] على الرغم من أن المكان لم يكن هو الجيش، ولكن لأن هناك رأى يعقوب الجيش، أرأيت كيف أنه من الأحداث التي حصلت في المكان قد دعاه؟ هكذا أيضا شجرة معرفة الخير والشر، ليس لأن فيها معرفة الخير والشر بل لأنه من خلالها قد صار البرهان علي معرفة الخير والشر، والممارسة (العملية) للطاعة والمعصية.

ومرة أخري رأي يعقوب الله علي قدر ما يمكن لإنسان أن يراه وقد دعي اسم المكان "مرئ الله" فلماذا؟ يقول: "لأنه رأى الله"[١٨١] ليس لأن المكان هو "مرئ الله" بل لأن ما حدث في ذلك المكان قد أعطاه هذه التسمية.

أرأيت بكم من الأدلة أن الكتاب المقدس يعتاد على أن يعطي الأماكن أسماء من الأحداث التي تحصل فيها، ونفس الأمر أيضا يحدث مع الأوقات.

نعمة المسيح أعظم من خطية آدم وآثارها.

ولكي لا نرهقكم، دعونا ننقل حديثنا من الأمور المحزنة إلى ما هو

---

[١٨٠] في العبرية (مَحَنَايِم) وفي السبعينية παρεμβολή وتعني معسكر الجيش : "*وَقَالَ يَعْقُوبُ إِذْ رَآهُمْ: «هذَا جَيْشُ اللهِ!». فَدَعَا اسْمَ ذلِكَ الْمَكَانِ «مَحَنَايِمَ»*". تك ٣٢: ٢

[١٨١] أنظر تك ٣٢: ٣٠

مبهج، وأيضًا لكي نجعل أفكارنا تنشغل بالمعاني السامية، لذلك حسنًا أن نريح الفكر، بأن نغذيه بالمعاني الأكثر بساطة والأكثر بهجةً. فلنرجع إذن إلى شجرة (خشبة) الصليب المخلصة[١٨٢] لأن تلك قد أزالت كل المتاعب، التي قد سببتها تلك الشجرة (المحرمة)، أو بالحري ليست تلك الشجرة بل الإنسان الذي أدخل كل المتاعب التي أزالها بقوة عظيمة المسيح فيما بعد، مانحًا خيرات أعظم بكثير من تلك المتاعب. لذلك فإن بولس يقول: " *حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدًّا.*"[١٨٣] أي أن النعمة أعظم من الخطية ولذلك يقول أيضًا : " *وَلكِنْ لَيْسَ كَالْخَطِيَّةِ هكَذَا أَيْضًا الْهِبَةُ*"[١٨٤] فليس على قدر ما أخطأ به الانسان بقدر ما أنعم به الله عليه، إذ ليس المكسب بمقدار الخسارة، فمكسب التجارة أعظم من مخاطر غرق السفن، فتلك النِعم أعظم جدًا من الشرور، لأن الشرور التي أدخلها العبد كانت أقل من الخيرات التي منحها السيد حيث كانت أكثر لذلك يقول: "*لَيْسَ كَالْخَطِيَّةِ هكَذَا أَيْضًا الْهِبَةُ*"[١٨٥]

وبعد ذلك يضيف الاختلاف ". *لأَنَّ الْحُكْمَ مِنْ وَاحِدٍ لِلدَّيْنُونَةِ، وَأَمَّا*

---

[١٨٢] لاحظ أن في اليونانية كلمة ξύλον تعني شجرة أو خشبة فيعمل القديس ذهبي الفم مقابلة بين شجرة معرفة الخير والشر، وخشبة الصليب.

[١٨٣] رو ٥: ٢٠

[١٨٤] رو ٥: ١٥

[١٨٥] رو ٥: ١٥

الْهِبَةُ فَمِنْ جَرَّى خَطَايَا كَثِيرَةٍ لِلتَّبْرِيرِ."[١٨٦]. هذه الكلمات ذات غموض شديد، ومن الضروري أن نحاول تقديم التفسير، "فالدينونة" هي الجحيم والعقوبة والموت، من "واحدة" أي من خطية واحدة لأنه يقول إن خطية واحدة قد أدخلت شر عظيم ولكن الهبة الإلهية لم تمح فقط هذه الخطية بل محت خطايا أخرى كثيرة، لذلك يقول: إن الهبة الإلهية تمنح التبرير من كل معصية" لذلك فإن يوحنا (المعمدان) صرخ: " *هُوَذَا حَمَلُ اللهِ*" ليس الذي يرفع خطية آدم بل " *الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!*"[١٨٧]. ألا ترى كيف أن المعصية ليست بمقدار الهبة بل خيرات أعظم قد أدخلتها هذه الشجرة أكثر من الشرور التي نشأت منذ البدء؟

مقارنة بين آدم واللص اليمين

٤- هذا قد قلته لكي لا تظن أنك تضررت من الآباء الأولين، فالشيطان أخرج آدم من الفردوس ولكن المسيح أدخل اللص، ولاحظ الفارق، فإن الشيطان قد أخرج الإنسان علي الرغم من أنه لم يكن له أي خطية سوى بقعة واحدة هي المعصية، بينما المسيح قد أدخل اللص (إلى الفردوس) علي الرغم من أنه كان مثقلاً بخطاياه الكثيرة التي لا تحصى، فهل هذا الأمر فقط اللافت للانتباه؟ أفلا يوجد شيء آخر؟ فيمكننا أن نذكر ما هو أعظم، لأنه لم يدخل فقط اللص إلى

---

[١٨٦] رو ٥: ١٦

[١٨٧] يو ١: ١٩

الفردوس بل أدخله قبل كل المسكونة وقبل الرسل كي لا يفقد أحدًا من اللاحقين شجاعته في الدخول للفردوس ولا ييأس من خلاصه، وهو يرى متجولاً في ديار الملكوت ذاك الذي كان ممتلئاً من الشرور التي لا تعد، ولكن دعونا نفحص الأمر ربما أظهر اللص جهادًا أو أفعالاً حسنة أو ثمارًا، ولا حتى هذا يمكننا قوله، ولكن بكلمات بسيطة، فقط بواسطة إيمانه قفز إلى داخل الفردوس قبل الرسل، حتى تعرف أن امتنان ذاك اللص لا يساوي مقدار ما فعلته محبة السيد للبشر.

فماذا قال اللص؟ وماذا فعل؟ هل صام؟ هل بكى بالدموع؟ هل مزق ثيابه؟ هل قدم توبة لزمان طويل؟ كلا البته، لقد كان على عود الصليب وفاز بخلاصه بعدما أتخذ قرارًا. فلتنتبه سريعًا، فمن الصليب انتقل للسماء، من الإدانة إلى الخلاص، فما هي إذن تلك الكلمات أي قوة لها، في اللحظة التي وهبت له كل هذه الخيرات، إذ يقول «*اذْكُرْنِي يَارَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ*»[١٨٨] وما هي أهمية تلك الكلمات؟ طلب أن ينال الخيرات ولم يقم بأي محاولة بأعماله، ولكن ذاك الذي يعلم قلبه، لم يعر أي اهتمام إلى أقواله بل إلى قصده ونية نفسه، لأن أولئك الذين تمتعوا بالتعاليم النبوية ورأوا الآيات والمعجزات قالوا إن "بِهِ شَيْطَانٌ"[١٨٩]، وإنه " يُضِلُّ الشَّعْبَ"[١٩٠] بينما اللص على الرغم من أنه لم

---

[١٨٨] لو ٢٣: ٤٢

[١٨٩] أنظر يو ١٠: ٢٠ ، أنظر أيضًا يو٧: ٢٠، ٨: ٤٨

[١٩٠] أنظر يو ٧: ١٢

يستمع للأنبياء، فبمجرد أن رآه مُسمرًا على الصليب لم يبالي بالخزي والعار، بل عندما رأى ألوهيته قال "أذكرني في ملكوتك" فهو أمر جديد وعجيب، أترى الصليب وتتذكر الملكوت؟ فماذا رأيت يستحق الملكوت؟ إنسانًا مصلوبًا، مجروحًا، مهانًا، مُدانًا، مبصوقًا عليه، مجلودًا. فهل هذه مؤهلات الملكوت؟ أجبني![١٩١]

أترى كيف أنه أبصر بعيون الإيمان ولم يفحص ظواهر الأمور فلذلك ولا الله أيضا امتحن كلماته البسيطة بل كما أن هذا اللص رأى ألوهيته، هكذا نظر الله إلى قلبه وقال: «*إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ*»[١٩٢]

دفاع ضد المانيين عن القيامة[١٩٣]

إننتبه هنا، لأننا نعرض مسألة غير اعتيادية. في الحقيقة، المانيون هم مثل كلاب غبية ومسعورة، ففي الظاهر يظهرون تساهلاً أما من داخلهم يحملون هوس الكلاب المخيفة، ويخفون أنفسهم كذئاب تحت جلد الحملان، لذلك لا تنظر بحسب الظاهر بل لتفحص الوحش

---

[١٩١] نلاحظ تناغم شديد بين حديث القديس يوحنا ذهبي الفم عن اللص والقطعة الخاصة بأمانة اللص التي تتلوها الكنيسة القبطية في صلوات يوم الجمعة العظيمة، إذ يقول الكاهن: *"ما رأيت المسيح إلهنا متجليًا على طور طابور في مجد أبيه، بل رأيته معلقًا على الاقرانيون"*

[١٩٢] لو ٢٣: ٤٣

[١٩٣] فيما يخص ماني أنظر المقدمة، هامش ص ٣٩

المخفي في الباطن، لذلك يحتالون في (تفسير) هذه الآية ويقولون[١٩٤]:

"قال المسيح *«اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ»*[١٩٥]. إذن فقد نال مكافأة النعيم فلا حاجة إذن للقيامة، لأنه طالما قد تمتع اللص منذ ذلك اليوم بالنعيم وجسده لم يقم حتى يومنا هذا فلن تكون هناك إذن قيامة للأجساد. فهل استوعبت ما قلته أم تحتاج أن أعيد القول مرة أخرى: *«اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ»*[١٩٦]" فقد دخل اللص إلى الفردوس - كما يقولون- ولكن بدون جسده، فهل لم يدفن جسده؟ ألم يتحلل؟ ألم يصر ترابًا؟ ولم يقال نهائيًا في أي موضع أن المسيح أقامه، فإن كان اللص قد دخل (الفردوس) وبدون الجسد تمتع بالنعيم، فمن الواضح تماما أنه لا توجد هناك قيامة للأجساد، لأنه إن كانت هناك قيامة للأجساد ما كان القول : *«اَلْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ»*[١٩٧]"" بل (كان عليه أن يقول) في نهاية العالم عندما تكون قيامة للأجساد (تكون معي في الفردوس) ولكن إن كان اللص قد دخل(الفردوس) بالفعل وأما جسده قد فسد إذ بقي بالخارج، فمن الواضح انه لا

---

[١٩٤] في الفقرة التالية يعرض القديس يوحنا أقوال المانيين في إنكار القيامة.

[١٩٥] لو ٢٣: ٤٣

[١٩٦] لو ٢٣: ٤٣

[١٩٧] لو ٢٣: ٤٣

توجد قيامة للأجساد."

الجسد سوف يتنعم مع النفس في القيامة

هذا ما يدعيه أولئك، ولكن فلتستمع إذن لما نقوله نحن، وبالحري ليس من عندنا بل من الكتب الالهية، إذ ليست أقوالنا نحن، بل ما هو للروح القدس، فماذا تقول (أنتَ)؟ ألا يشترك الجسد في الأكاليل؟ فهل يشارك في الأتعاب ويحرم من المكافأة؟ فهل حين يتَحَتَّم الجهاد يأخذ هو النصيب الأكبر من المشقة والتعب، وعندما يحين الوقت للأكاليل تُكَلَل فقط النفس؟ ألم تسمع بولس يقول: *"لأَنَّهُ لاَبُدَّ أَنَّنَا جَمِيعًا نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا."* [١٩٨] ألم تسمع ما يقوله أيضا: *"لأَنَّ هذَا الْفَاسِدَ لاَبُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ، وَهذَا الْمَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ."* [١٩٩] فما هو الفاسد إذن؟ النفس أم الجسد؟ فمن الواضح أنه الجسد، لأن النفس بالطبيعة غير فانية، بينما الجسد هو فانٍ بالطبيعة. لكن أمور كثيرة كهذه يقتطعونها، بالإضافة إلي ما يبقون عليها من أمور أخري، سوف نبرهن على قرابتها نحو ما يقتطعون.

ملكوت السماوات والفردوس

٥- هل دخل اللص إلى الفردوس -كما يقال- فأية أهمية لهذا

---

[١٩٨] ٢كو ٥: ١٠

[١٩٩] ١كو ١٥: ٥٣

الأمر؟ ألعل هذا هو النعيم الذي وعد به الله؟ ألم تسمع بولس ماذا يقول عن هذا النعيم؟ *«مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ »*[٢٠٠].ولكن الفردوس قد رأته عين أدم، وسمعته أذنه، وخطر على قلب الانسان، ولأجل هذا الموضوع قد حدثتكم أيام كثيرة. فكيف تمتع إذن اللص بالنعيم؟ لأن الله لم يعد بأن يقودنا إلى الفردوس بل إلى السماء، ولم يعدنا بملكوت الفردوس بل بملكوت السماوات لأنه يقول *«ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَكْرِزُ وَيَقُولُ: تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ»*[٢٠١] ليس "ملكوت الفردوس" بل "ملكوت السماوات".

نعمة الله أعظم من خطية الإنسان

لقد فقدتَ الفردوس ولكن الله قد وَهَبك السماء، حتى يظهر محبته الخاصة للبشر وأن يطعن الشيطانَ ويظهر أنه حتى بالرغم من أنه يسبب شرورًا لا تعد لجنس البشر فإنه لن يفلح في شيء طالما أن الله يرفعنا دائما لكرامة أسمى. لقد فقدت الفردوس والله قد فتح لك السماء، قد حُكِم عليك بتعب وقتي، فكُرِمت بالحياة الأبدية. أمَرَ (الله) أن تنبت لك الأرض شوكًا وحسكًا، فأنبتت لك نفسك ثمار الروح.

أرأيت كم أن المكسب أعظم من الخسارة؟ فكم هو مدى عظمة الغنى؟ أعني تقريبا ما يلي: خلق الله الإنسان من طين وماء ووضعه

---

[٢٠٠] اكو ٢: ٩

[٢٠١] مت ٤: ١٧

في الفردوس، وذاك الذي خُلِق لم يعد نافع إذ انحرف، لم يعيد خلقه من جديد من طين وماء بل من ماء وروح، ولم يعده بالفردوس بل بملكوت السماوات، فاسمع!، فنيقوديموس – أحد رؤساء اليهود– عندما سقط (في الخطأ) وطلب الميلاد الزمني، قائلاً أنه من غير الممكن لشيخ أن يُولد ثانيًا، فأنتبه كيف أن المسيح قد كشف له جليًا طريقة الولادة، *إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ*."[٢٠٢] إذن فإن كان قد وَعدنا بملكوت السماوات وقد قاد اللص إلى الفردوس فانه إذن لم يهبه بعد النعيم.

ملكوت السماوات يختلف عن الفردوس

ولكنهم يدعون شيئًا أخر بخلاف هذا، فيقولون[٢٠٣]:

"إن الفردوس المذكور لا يعني الفردوس بل أن اسم الفردوس يقصد به ملكوت السماوات، لأنه عندما كان يتحدث مع لص، أي مع إنسان، الذي لم يكن يسمع من قبل عن الحقائق السامية، ولم يعرف النبوات بل عاش طول حياته في البراري، مرتكبًا جرائم القتل، ولا يعرف حتى ما هو ملكوت السماوات، فقال له "*إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ*»[٢٠٤] موضحًا بالاسم

---

[٢٠٢] يو ٣: ٥

[٢٠٣] في الفقرة التالية يعرض القديس يوحنا أقوال المانيين في الخلط بين الفردوس وملكوت السماوات.

[٢٠٤] لو ٢٣ :٤٣:

الأكثر شهرة والاكثر اعتيادًا أي "الفردوس" قاصدًا "ملكوت السماوات" ، وتحدث المسيح معه عن ذاك الاسم. إذن، أقبلُ– كما يقولون– أنه دخل ملكوت السماوات، كيف يظهر هذا جليًا؟ يظهر جليًا مما قيل *"إِنَّك الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ»*[٢٠٥]".

ولكن هذا التفسير من الصعب قبوله، وسوف نحاول تقديم التفسير الأكثر إيضاحًا، فما هو يا تُرى؟ فقد قال المسيح: " *الَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ* (بالفعل!)"[٢٠٦] فما معني "أنه قد دين بالفعل"؟! علي الرغم من أن القيامة لم تحدث بعد، ولا الجحيم والعقوبة، كيف إذن قد دين بالفعل"؟ قد دين بسبب خطاياه، ويقول أيضًا: إن مَنْ يؤمن بالابن *قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ.*"[٢٠٧] ولم يقل سوف ينتقل بل قد انتقل بالفعل! وهذا أيضا (قد أنتقل إلى الحياة) بسبب أفعاله الحسنة، كما ذاك (قد دين) بسبب خطاياه. وهكذا الواحد قد دين مع أنه لم يُدن بالفعل والأخر قد أنتقل إلى الحياة مع أنه لم ينتقل فعليًا. فأحدهما بسبب أعماله الحسنة والآخر بسبب خطاياه ، فيتحدث عن أمور وكأنها حدثت علي الرغم من أنها لم تتحقق فعليًا، وبنفس الطريقة تحدث إلى اللص، فالأطباء عندما يرون شخصًا ما في حالةٍ ميؤوسٍ منها، يقولون أنه مات بالفعل

---

[٢٠٥] لو ٢٣ :٤٣

[٢٠٦] يو ٣: ١٨

[٢٠٧] ٥: ٢٤

أو "إنه ميت"، علي الرغم من أنهم يرونه مازال يتنفس، ومثل هذا، فلأنه لا أمل في شفائه، إذ قد مات في نظر الأطباء، هكذا أيضا اللص، لأنه لا يوجد أي احتمالية لعودته إلى الهلاك، فقد دخل الفردوس[٢٠٨]. هكذا آدم قد سمع : "لأَنَّك يَوْمَ تَأْكُلُ (من الشجرة) مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ»[٢٠٩] فماذا إذن؟ هل مات في نفس اليوم؟ كلا البتة، بل عاش أزيد من تسعمئة سنة بعد ذاك اليوم، فكيف إذن قال له الله أنك ستموت في ذات اليوم؟ بإصدار القرار وليس بالتنفيذ العملي، هكذا أيضا دخل اللص الفردوس[٢١٠] فأسمع إذن ما يقوله بولس لكي يوضح كيف أن أحدًا لم يتمتع بعد بمكافأة النعيم (الأبدي)، لأنه تحدث عن الأنبياء والصديقين مضيفًا: "*فِي الإِيمَانِ مَاتَ هؤُلاَءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا... إِذْ سَبَقَ اللهُ فَنَظَرَ لَنَا شَيْئًا أَفْضَلَ، لِكَيْ لاَ يُكْمَلُوا بِدُونِنَا.*"[٢١١]

[٢٠٨] هكذا في نص SC المحقق أما في نص PG السماء!.

[٢٠٩] تك ٢: ١٧

[٢١٠] هكذا في نص SC المحقق أما في نص PG السماء!.

[٢١١] عب ١١: ١٣و٤٠

خاتمة قصيرة[٢١٢]

لتحفظوا هذه الدروس ولتتذكروها، فأتمنى أن تستفيدوا بالتعاليم بشكل أفضل، فلتحفظوا هذا الكلام بدقة، ولنستعد لما سوف يلقي (في اجتماعنا القادم). فلنقدم كلنا معا المجد لله، الذي له المجد والعزة الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور. آمين.

[٢١٢] هذه الخاتمة من النص اليوناني المحقق في *SC* ولكن النص اليوناني التقليدي في *PG* يوجد به خاتمة مطولة تتطابق تمامًا مع خاتمة العظة الثامنة حيث يحثهم فيها أن يرددوا كلام الوعظ ويحفظوه في الكنيسة والبيت والساحات العامة الخ ... إلى نهاية العظة.

العظة الثامنة

عن يوم ملبد بالغيوم، وعن اجتماع الأساقفة، وعن إعطاء آدم الوصية، وأن قبول الشريعة هو علامة علي عناية الله الفائقة.

ترحيب بحضور الأسقف فلافيان الاجتماع

علي الرغم من أن تراكم السحاب يجعل يومنا أكثر تجهمًا، إلا أن مجيء المعلم[٢١٣] قد جعل اليوم أكثر سعادة، لأن الشمس لا تنير الأجساد بقوة عندما ترسل أشعتها بشدة من علياء السماء بمقدار ما تستضيئ النفوس بواسطة مشهد المودة الأبوية التي تلقي أشعتها من وسط العرش (كرسي الأسقف)، وهذا تمامًا ما يعرفه الأب الأسقف، فلم يأتي بالقرب منا بمفرده بل أتى معه الخورس المتألق، حتى يصير النور أكثر تألقًا، لذلك فإن كنيستنا مفعمة بالبهجة، والرعية متهللة فرحاً، أما نحن فنستهل كلمتنا برغبة أقوى، لأنه حيثما يجتمع الرعاة فهناك أيضا تكون الخراف في مأمن، وبالمثل فإن البحارة يفرحون عندما يجدون بجوارهم الكثيرين من رَبابِنة السفن، وعندما يجدون هدوء وسكينة، يخففون جهدهم في التجديف بالدفة. بينما حين يكون البحر مضطرباً فإنهم بتقنية عالية وأيادي كثيرة يتغلبون علي ثورة المياة العاتية. لذلك فإننا بشجاعة نبدأ التعليم، طالما فوضنا كل شيء في

---

[٢١٣] المقصود هو حضور الأسقف فلافيان ، الذي كان يحضر عظات القديس يوحنا ذهبي الفم عندما كان كاهنًا في أنطاكية قبل أن يصير بطريركًا على القسطنطينية. راجع المقدمة.

طلباتهم. ولكن كي يصير كلامي مفهوماً أكثر وأكثر وضوحًا فسوف أذكركم باختصار بما قد قلته لكم البارحة[٢١٤].

ملخص عظة الأمس (السابعة)

قد قلت لكم أنه قبل الأكل من ثمرة الشجرة (المحرمة) كان آدم عارفاً للخير والشر، وأنه لم ينل تلك المعرفة بعد أن ذاق من الثمرة، وقد أخبرتكم لأي سبب قد دُعيت الشجرة بمعرفة الخير والشر، وكيف أنه من عادة الكتاب المقدس أنه عندما تقع حادثة في مكانٍ ما أو زمانٍ ما فإنه يطلق اسم الحادثة على ذاك المكان أو الزمان.

لماذا أعطى الله الوصية لآدم ؟

أما اليوم، فأنه من الضروري أن نتعرف أكثر على تلك الوصية التي حرَّمت الأكل من الشجرة، فما هي إذن (هذه الوصية)؟ *"وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلَهُ آدم قَائِلا: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ اكْلا"*[٢١٥] إنها شريعة إلهية، ولكن لننتبه، لأن البشر إن كانوا يقرأون كتابات ملوكية، فإن كل السامعين ينتصبون وقوفًا، فكم بالأولى بنا نحن الذين نقرأ ليس شريعة بشرية بل إلهية، فيجب علينا أن نسمو بفكرنا وأن ننتبه لما يقال.

أعرف أن الكثيرين يلومون المُشرِع ويقولون إن الشريعة هي سبب الخطية. فمِن الضروري إذن أن نتوقف عند هذا الأمر، ونوضح من

---

[٢١٤] بخصوص تعبير البارحة أنظر تعليقنا في المقدمة.

[٢١٥] تك ٢: ١٦

الأمور ذاتها، أن المُشرِع قد أعطى الشريعة ليس لأنه كان يكره الإنسان ولا لأنه يريد إهانة طبيعتنا، لكن بدافع محبته وعنايته بنا. لأنه قد أعطاها لأجل مساعدتنا، فاسمع ما يقوله إشعياء النبي- *"لأنه قد أعطى الشريعة للمساعدة"*[٢١٦] أما مَنْ يكره فلا يساعد، مرة أخرى يصرخ النبي قائلاً " *سِرَاجٌ لِرِجْلِي كَلاَمُكَ (شريعتك) وَنُورٌ لِسَبِيلِي*."[٢١٧] ولكن ذاك الذي يكره لا يبدد الظلام بالسراج ولا يضئ بالنور مَنْ قد ضل طريقه، أيضا يقول سليمان *"لأَنَّ الْوَصِيَّةَ مِصْبَاحٌ، وَالشَّرِيعَةَ نُورٌ، وَتَوْبِيخَاتِ الأَدَبِ طَرِيقُ الْحَيَاةِ.*"[٢١٨]. فها هو يقول إن الشريعة ليست فقط مُعينًا ولا فقط سراجًا بل أيضا نورًا وحياة. فكل هذا لا ينبع مِن مَنْ يكره أو يرغب في أن يدمر بل مَنْ يمد يده للمساعدة والتقويم لذلك حين خاطب بولس اليهود كي يظهر لهم مقدار الفائدة عظيمة التي تقدمها لنا الشريعة، وأنها سندًا وليست عبئًا على طبيعتنا، لأنه مكتوب: *"فلتحضر اسم يهوذا ولتستند على الشريعة"*[٢١٩]

---

[٢١٦] أش ٨: ٢٠ بحسب نص الترجمة السبعينية: νόμον γὰρ εἰς βοήθειαν ἔδωκεν

[٢١٧] مز ١١٩: ١٠٥ بحسب البيروتية "كلامك" ، في السبعينية "شريعتك" وهي التي استخدمها القديس يوحنا.

[٢١٨] أم ٦: ٢٣

[٢١٩] أم ٢: ١٧

الوصية والشريعة هي لفائدتنا وحمايتنا

أترى كيف أن الله أعطى الشريعة ليس لكي تكون عبئاً على طبيعتنا بل كي يحميها؟ أتريد أن تعرف كيف أنه أوجد الشريعة لكي يكرم طبيعتنا البشرية؟ وبكل تأكيد فإن تلك الأمور قادرة أن تظهر كرامته وعنايته بنا. بخلاف كثير من الشهادات الأخرى سوف أقدم هذا القول الواضح (عن عناية الله): "*سَبِّحِي يَا أُورُشَلِيمُ الرَّبَّ، سَبِّحِي إِلهَكِ يَا صِهْيَوْنُ. لأَنَّهُ قَدْ شَدَّدَ عَوَارِضَ أَبْوَابِكِ. بَارَكَ أَبْنَاءَكِ دَاخِلَكِ. الَّذِي يَجْعَلُ تُخُومَكِ سَلاَمًا، وَيُشْبِعُكِ مِنْ شَحْمِ الْحِنْطَةِ*"[220]، وبعد ذلك يذكر الاحسانات التي يمنحها الله لنا من خلال خلائقه الأخرى، مضيفًا ما هو أعظم وأكبر قائلاً "*يُخْبِرُ يَعْقُوبَ بِكَلِمَتِهِ، وَإِسْرَائِيلَ بِفَرَائِضِهِ وَأَحْكَامِهِ. لَمْ يَصْنَعْ هكَذَا بِإِحْدَى الأُمَمِ، وَأَحْكَامُهُ لَمْ يَعْرِفُوهَا. هَلِّلُويَا.*"[221]

أنظر كم من الصلاح يذكر، كسلامة المدينة، لأنه يقول: "*قَدْ شَدَّدَ عَوَارِضَ أَبْوَابِكِ*"[222] والتخلص من الحروب إذ يقول: "*الَّذِي يَجْعَلُ تُخُومَكِ سَلاَمًا* "[223] ووفرة الخيرات الضرورية لأنه يقول: "*وَيُشْبِعُكِ مِنْ*

---

[220] مز ١٤٧: ١٢-١٤

[221] مز ١٤٧: ١٩،٢٠

[222] مز ١٤٧: ١٣

[223] مز ١٤٧: ١٤

شَحْمِ الْحِنْطَةِ."[٢٢٤] ولكن الأفضل من كل ذلك هو أنه منحنا عطية الشريعة (الوصية)، لأن الشريعة التي وهبت للناس والوصايا التي قد عرفوها من الله تمثل عطية أكبر بكثير جدا من الأمن والسلام أو التخلص من الحروب، وأفضل من أنجاب أولاد صالحين أو كثيرين، أو وفرة الخيرات الضرورية، وذلك لأنه قد ذكرها (أي الشريعة) بعد كل شيء كالقمة والرابط بين كل الخيرات، لأنه " لَمْ يَصْنَعْ هكَذَا بِإِحْدَى الأُمَمِ،"[٢٢٥] لذلك أضاف الكلمات الآتية " *وَأَحْكَامُهُ لَمْ يَعْرِفُوهَا*." أترى كيف أن الشريعة قد فاقت كل الخيرات التي لا تحصى؟

وهذا ما أكده إرميا لأنه فيما أولئك يتحسرون وهم في السبي كان هو يقول "لماذا أنت في أرض الأعداء؟ وقد تركت ينبوع الحكمة"[٢٢٦] وهذا يقصد به الشريعة كما أن المنبع ينشئ في كل الاتجاهات كثير من مسارات للمياه، كذلك فإن الشريعة تنشئ أيضا في كل مكان كثير من الوصايا، كي تسقي نفوسنا، وبعد ذلك كي يوضح الكرامة الفائقة التي تنبع من الشريعة قال: " *يسمع به (أي بكلمة الحكمة) في كنعان و لا تراءى في تيمان، و بنو هاجر ايضا ... تجار مران ... لم يعرفوا طريق الحكمة و لم يتذكروا سبلها*"[٢٢٧] ولكي يظهر أنها شيئًا روحيًا

---

[٢٢٤] مز ١٤٧: ١٤

[٢٢٥] مز ١٤٧: ٢٠

[٢٢٦] راجع باروخ ٣: ١٠ و ١٢

[٢٢٧] راجع باروخ ٣: ٢٢-٢٣

والهيًا قال : "من طالع السماء ونزل منها؟"[228] وبعدها يضيف " *هذا هو الهنا و لا يعتبر حذاءه آخر، هو وجد طريق التأدب بكماله و جعله ليعقوب عبده ولإسرائيل حبيبه*"[229] لذلك فإن داود يقول "*لَمْ يَصْنَعْ هكَذَا بِإِحْدَى الأُمَمِ، وَأَحْكَامُهُ لَمْ يَعْرِفُوهَا*."[230]

وهذا ما أشار إليه بولس وهو يكتب : "*إِذًا مَا هُوَ فَضْلُ الْيَهُودِيِّ، أَوْ مَا هُوَ نَفْعُ الْخِتَانِ؟*"[231] فالشريعة لها فائدة كبيرة ومتعددة.

فأولاً صارت أقوال الله صادقة، أنظر كيف فسر قوله " لَم يَصْنَعْ *هكَذَا بِإِحْدَى الأُمَمِ، وَأَحْكَامُهُ لَمْ يَعْرِفُوهَا*"[232] ؟ لأن فضل اليهودي هو أن اليهود عن دون البشر قد كُرموا بنوال الشريعة المكتوبة.

الله أكرم الانسان بأن وهبه الشريعة بنفسه وليس من خلال وسيط

من ثم فإن الله لم يهب الشريعة حتى يقمع طبيعتنا، بل كي يكرمها، ولم يكرمها بهذا فقط بل أيضا بأنه قد وهبنا هو بنفسه الشريعة (وليس بواسطة وسيط)، لأن هذا هو أعظم نوع من التكريم، إنه ليس فقط قد وهبنا الخيرات بل قد أعطانا إياها بنفسه، وهذه العطية بكل تأكيد

[228] راجع باروخ ٣: ٢٩

[229] باروخ ٣: ٣٦-٣٧

[230] مز ١٤٧: ٢٠

[231] رو ٣: ١

[232] لم يوضحها لهم – حسب النص السبعيني

عظيمة، اسمع أيضا بولس الذي يبرهن علي ذلك، لأنه يرى اليهود يتفاخرون لأن الأنبياء قد أتوا لأجلهم لذلك يحاول بولس أن يكبح تباهيهم، ولكي يظهر أننا قد تمتعنا بكرامة أسمى بنوالنا التعليم ليس بواسطة عبد بل بواسطة السيد نفسه، فإنه يكتب إلى العبرانيين قائلاً: " *كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ، اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُق كَثِيرَةٍ،*"[٢٣٣] ويقول أيضًا في موضع آخر "*وَلَيْسَ ذلِكَ فَقَطْ، بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضًا بِاللهِ، بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي نِلْنَا بِهِ الآنَ الْمُصَالَحَةَ.*"[٢٣٤]

أتري كيف أنه لا يفتخر فقط بالمصالحة مع الله بل أيضا لأننا قد نلنا تلك المصالحة بواسطة المسيح؟ وأيضًا يقول وهو مفتخر بالقيامة، "أن الرب نفسه سوف ينزل من السماء"[٢٣٥]، فأنتبه أن كل شيء ينبع من لدن الرب، هنا أيضا فلم يعطي الوصية لآدم بواسطة عبد ما ولا بواسطة ملاك أو رئيس ملائكة، بل هو بنفسه قد كَرَم الانسان بشكل مزدوج، بأنه (من ناحية) قد أعطاه الشريعة، (ومن ناحية أخرى) قد أعطاه إياها بنفسه، فكيف إذن ضل ذاك؟ بسبب إهماله، والبرهان هو أن كل الذين نالوا الشريعة لم يضلوا بل عملوا بالأكثر على حفظ أحكامه.

---

[٢٣٣] عب ١: ١

[٢٣٤] رو ٥: ١١

[٢٣٥] أنظر ١تس ٤: ١١

خاتمة يحث فيها على ترديد كلمة العظة للآخرين خارج الكنيسة وعمل الرحمة مع الفقراء.

ولكن لأنني أرى أن الوقت يداهمنا، سوف أؤجل حديثي لعظة أخرى[٢٣٦] أما أنتم، فلتحفظوا ما قد قيل في السابق، وأن تتذكروه، وأن تعلموه لمَنْ لم يسمعه، وعلى كل واحد منكم أن يتلوه في الكنيسة والساحات العامة وفي البيت، لأنه لا شيء ألذ من الاستماع إلى الكلمة الالهية، فأسمع ماذا يقول عنها النبي: " *مَا أَحْلَى قَوْلَكَ لِحَنَكِي! أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ لِفَمِي.*"[٢٣٧]

هذه الكلمة الإلهية هي الشمعة (المنيرة) الموضوعة علي مائدة عشاءك، حتى تمتلئ كاملةً من المتعة الروحية، ألا ترون الأثرياء من الناس كيف أنهم بعد الأكل يدخلون إلى بيتهم عازفي آلة القانون والناي؟ ويجعلون بيتهم مثل المسرح، أما أنت فأجعل بيتك مثل سماء، وسوف تجعله كذلك ليس بتبديل جدرانه أو تغيير أساساته، بل بأن تدعو رب السماوات ذاته إلى مائدتك، فلا يخجل الرب من مائدة مثل هذه، لأنه حيثما يوجد تعليم روحي، يوجد أيضًا التعقل والوقار والحِلْم (اللطف). فحيث يوجد رجل وامرأة وأولاد، وأيضا حيث يوجد توافق ومحبة مرتبطين برباط الفضيلة، فبينهم يوجد المسيح، لأنه لا يطلب

---

[٢٣٦] دلالة علي وجود عظات أخري غير هذه العظات الثمانية ربما فقدت. أنظر المقدمة ص ١٦و١٧.

[٢٣٧] مز ١١٩: ١٠٣

سقفًا ذهبيًا ولا أعمدة لامعة ولا رخامًا متلألئًا، بل يطلب زينة النفس، و الجمال الروحي، ومائدة ممتلئة بالبر وتامة من كل ثمر الرحمة، وهكذا فإن رأى مثل هذه المائدة فإنه يشارك في مثل هذا الاجتماع ويحضره، لأن هذا ما قاله: "*لأَنِّـي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِـي*." [٢٣٨]

إذن، فعندما تسمع فقيرًا يصيح بقوة أسفل منزلك، ثم تعطيه شيئًا مما يحتاجه من على مائدتك، فكأنك قد دعوت الرب من خلال هذا الفقير على مائدتك، كي يملئها من كل بركة، وبتقدمتك هذه فإنك تخلق الدافع الأكبر كي تملئ مخازنك بخيراتٍ كثيرةٍ.

وإله السلام والمحبة، الذي يعطي خبزًا للأكل، والبذار للزارع، فليضاعف بذوركم وأن تزداد ثمار البر فيكم كلكم. وأن يهبكم النعمة التي من عنده، وأن يجعلكم مستحقين ملكوت السماوات، الذي نترجى كلنا أن نظفر به، بالنعمة ومحبة البشر التي لربنا يسوع المسيح، الذي يليق به مع أبيه المجد والكرامة والقوة، مع الروح القدس، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور، آمين.

---

[٢٣٨] مت ٢٥: ٣٥



في هذا الكتاب

يناقش القديس يوحنا ذهبي الفم في هذه العظات بعض الموضوعات المتعلقة بالإصحاحات الأولى لسفر التكوين، وأهم ما يميز هذه العظات اهتمامه بالطبيعة الإنسانية، وكرامة الانسان قبل السقوط وأثر السقوط علي الجنس البشري، إذ يؤكد أن الله لا يخلق عبيدًا، فيرى أن الخطية هي التي انشأت العبودية، وكذلك إصراره على مساواة المرأة بالرجل عند خلقها، وأن سيادة الرجل عليها جاءت بسبب السقوط والخطية وأن الأمر غير متعلق بتميز في طبيعة الرجل. كما يناقش موضوع شجرة معرفة الخير والشر، مؤكدًا أن آدم كان عارفًا للخير والشر قبل أن يأكل من ثمرتها. وأن معرفة الشر كانت نتيجة المعصية وليس الامر متعلق بطبيعة الثمرة ذاتها.

يُطلب هذا الكتاب من:

- المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ت: ٠٢٢٤١٤٠٢٣
Website: www.patristiccairo.com
E-mail : opcc2007@yahoo.com
- بيت التكريس ت: ٢٤٦٧٠٨٦٢
- ومن المكتبات والكنائس بالقاهرة والأقاليم.

سعر النسخة
١٠ جنيهات